من قلب لغتنا العربية
مقالات عن لغة القرآن

التدقيق اللغوي

شروق محمد سلمان

إخراج

محيي الدين حسين يوسف

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

ISBN 978-9948-499-17-6

حقوق الطبع محفوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

www.iacad.gov.ae mail@iacad.ae

دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

من قلب لغتنا العربية

« مقالاتٌ عن لغة القرآن »

تأليف
د. محمود أحمد الزين
كبير باحثين بإدارة البحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحيــة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّـلام على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــد:

فيـسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي- إدارة البحــوث** » أن تقـدِّم إصدارَهـا الجديـد: « **من قلـب لغتنا العربيـة: مقالات عن لغة القرآن** »، لجمهـور القراء وطلبة العلم المتطلعين إلى المعرفة ذات الأصول القويمة والمنهج المنير.

وهـذا الكتـاب مجمـوعُ مقـالاتٍ كُتبـت ضمـن مـشروع « **حمايـة اللغـة العربيـة والهوية الوطنيـة** »، أُريدَ بـه إيضاحُ بعض الإشكالات، وحَلُّ بعض المشـكلات، وردُّ بعض الاعتراضات عن لغتنا ولغة القرآن الكريم.

وهـذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقـدم عظيم الشـكر والدعاء إلى أسرة آل مكتـوم حفظهـا الله تعـالى التـي تحب العلـم وأهله، وتؤازر قضايا الإسـلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها

صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه.

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى الله على النَّبيِّ الأميِّ الخاتم سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور سيف بن راشد الجابري

مدير إدارة البحوث

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي جعل العربية لغة القرآن، وفضلها بذلك على كل لسان، والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد أفصح أهل البيان، الداعي إلى دين الله بالحجة والبرهان، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، وورثته الأخيار ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد، فإنَّ فضل اللغة العربية لا يخفى على من يعرف فضائل اللغات، وما تتفاضل به من مميزات، ولكن هذا الفضل ألقيت حوله الشبهات، فاغتر بها أهل الغفلات حتى تركوها بين المهملات، وقد كنتُ كتبت مجموعة من المقالات في حماية لغتنا من الهجمات وكشف ما ألقي عليها من الشبهات، وبيان شيء من فضائلها الباهرات يُحَبِّبُها إلى أبنائها، ويكشف شبهات مبغضيها وأعدائها، ويدعو الأمة إلى الاهتمام بها ورفع لوائها.

وأودّ الآن أن أقدمها إلى القراء مجموعةً موحَّدةً، تكون

باجتماعها معضّدة، وإلى مقاصدها مسددة، وهي ثمانية عشر مقالاً تناسب في أسلوبها الفئة الكبرى من أمّتنا، وذلك ضمن « **مشروع حماية اللغة العربية والهوية الوطنية** » في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، وهو مشروع قصد به الدعوة إلى العناية باللغة العربية، وبث الوعي بأهميتها.

وقد جعلت عنوان هذه المقالات: «**من قلب لغتنا العربية: مقالاتٌ عن لغة القرآن**» إذ هي تعبيرٌ عن آلامها وهمومها وآمالها، وأسأل الله تعالى أن يحقق أهدافها وأهداف هذا المشروع السامي، وعسى أن ييسر لي فيما بعد مجموعة أو مجموعات أخرى في هذا الغرض العظيم خدمة للغة القرآن الحكيم والنبي الكريم ﷺ، والله الموفق، وله الحمد أولاً وآخراً.

*** وهذه المقالات هي:**

١- لغة القرآن .

٢- الترابط بين القرآن والعربية .

٣- المسلمون واللغة العربية .

٤- ما حاجتنا إلى حماية اللغة العربية ؟

٥- اللغة العربية والتجديد .

٦- لغتنا: الغريبة القريبة .

٧- بالأسلوب المبسط نخدم لغتنا .

٨- بهذا يحب الناس العربية .

٩- هل العربية لغة صعبة ؟

١٠- وهم تعقيد اللغة العربية .

١١- كيف نحل مشكلة تعلم النحو العربي ؟

١٢- الكشف عن سهولة المقدار الأساس للنحو العربي .

١٣- أهمية المنهج في تعلم العربية .

١٤- تفصيلات صيغ الفعل في الجملة بين العربية وغيرها من اللغات.

١٥- هل نُجَدِّدُ المعجم العربي ؟

١٦- فصاحة النطق بالعربية .

١٧- أهمية اللغة العربية في مؤهلات الإدارات العلمية.

١٨- لغتنا والانتشار العالمي .

نسأل الله تعالى أن يتقبل بمنِّه وكرمه، وأن ينفع بهذه الكلمات والمقالات، وصلى الله وبارك على نبينا محمد الأمين، وآله الأكرمين، وأصحابه الميامين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) لغة القرآن

الحمد لله الذي أكرمنا بأفضل كتب رب العالمين: القرآن المنزل بلسان عربي مبين، ويَسّره للقارئين والمتعلمين، وحفظه ذكرى للذاكرين.

والصّلاة والسّلام على سيدنا محمد أفصح الأنبياء والمرسلين الذي كانت رسالته القرآن، وميراثه القرآن، ووصيته القرآن، القائل: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وعلى آله وصحبه حملة القرآن ومبلغيه إلى العالمين.

ولا سبيل إلى الأخذ بهذه الوصية إلا التمسك بهذا الكتاب العظيم تمسك القارئ المتدبر لا تمسك القارئ الذي يتلوه فمه ولسانه، ويغفل عنه عقله وجنانه.

وإنَّ أول وسائل التدبر معرفة لغة القرآن الكريم اللغة العربية، وقد بيّن لنا ذلك ربُّنا سبحانه وتعالى فقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1]، أي أنزلناه بلغتكم لتعقلوه، أي: لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه. ومعنى ذلك أننا إذا لم نتعلم لغة القرآن لا يمكننا أن نتعقل معاني القرآن وأن نتدبر عبر القرآن ووصاياه وأحكامه التي كُنّا حينَ عملنا بها أفضلَ الأمم حالاً، وأعظم الأمم قوةً وسلطاناً، وصِرْنا حين أهملناها وتقاعسنا عنها من آخر الأمم حالاً، وأشدِّها ضعفاً وهواناً .

ومَنْ ترك أول الوسائل إلى القرآن ـ وهي لغته ـ كان لغيرها من الوسائل أشدَّ تركاً، وكان عن غاياته ومعانيه أشدَّ بعداً.

وقد كان من الثمار المُرَّة لترك هذه اللغة الفصحى أن فات المسلمين كثيرٌ من المقاصد والمنافع الدينية، فصار الحج الذي كان من مقاصده تعارفُ المسلمين وتلاحمُهم وتفاهمُهم كأنه قد خلا من هذه المنافع أو كاد ؛ كان المسلمون في عهود السلف يلتقون

(١) سورة يوسف: الآية ٢ .

في الحـج فيتفاهمـون بلغة القـرآن، ويتعاونون، ويعـرف بعضهم هموم بعـض فيتناصحـون، ويلتقون في عهودنا هـذه فيتحادثون بالإشارات – لغةِ الصُّمِّ والبُكم – فلا يتفاهمون. وأشدُّ من ذلك وأدهـى أنه في كثير من الأحيان تكون واسـطةُ التفاهم بينهم لغةَ أعدائهم ومستعمريهم عوضاً عن لغةِ نبيِّهم ولغةِ كتاب ربِّهم، فيا حسرةً على المسلمين أيَّ ضياع يضيعون وفي أي وادٍ يهيمون حين يهملون لغة القرآن.

ومَنْ أراد أن يعرف أهمية لغة القرآن فلينتبه إلى حرص أعداء الإسلام على حربها، فمن أهم قواعد الحرب في كل البلدان وكل الأزمان أن العدو يهتم بتدمير سـلاح عـدوِّه بادئاً بالأهم فالمهم، وإن عَدُوَّنا حين أراد دخول بلادنا الإسلامية في شتى بقاع الأرض كان مـن أهـم مقاصـده تحطيـمُ اللغـة العربية؛ فحـين انكسرت (تركيـة) في الحـرب العالميـة الأولى كان أهم شروط الاستسـلام الذي سَـمَّوْه اسـتقلالاً: مقاطعة العالم الإسـلامي، وكانت أولى خطـى المقاطعة عنـد التطبيق إلغـاء اللغة العربية مـن المدارس،

وإلغاء الكتابة بالحروف العربية، وإلغاء الكلام بالعربية حتى في الأذان الذي هو شعار الإسلام في كل بلد إسلامي، شرطوا ذلك مع شروط أخرى كلها قطع للأمة عن القرآن قولاً وعملاً .

وحين دخل المستعمرُ الجزائرَ سيطر على التعليم وجعله بلغته ليقرأ أبناؤنا ثقافته دون ثقافتنا، وليتعلّموا مبادئه دون مبادئنا، وكان من يكتب أيَّ طلب رسمي بغير الفرنسية يُعاقب ويُرفض طلبه، وكادت اللغة العربية تنمحي من كل لسان لولا أنَّ الله تعالى حفظها بواسطة بسيطة غفل المستعمر عنها هي: مكاتب تعليم القرآن الكريم للصغار قبل أن يدخلوا مراحل التعليم الرسمية، وكذلك حلقات تفسير القرآن الكريم – ولا سيِّما شرح مفرداته – في بيوت الله، هي وسائل بسيطة في مظهرها، عظيمة في أثرها، وهي نفسها الوسائل التي نَشرت لغة القرآن في العالم الإسلامي حين انتشار الإسلام أيام الخلفاء الراشدين والقادة الفاتحين والعلماء العاملين الذين فتحوا قلوب الأمم وورَّثوها القرآن لغةً وتفسيراً وأحكاماً وأخلاقاً وأعمالاً،

وبتعليـم لغة القرآن الكريم وَصَلوها مباشرة بالقرآن، وإذا بتلك الأمم الحريصة على دينها تسابق العربَ في خدمة القرآن وخدمة لغـة القرآن حتى كان سـيبويه وهـو غير عربي أشـهرَ علماء اللغة العربية وأكبرَهم تأثيراً في تأليفات علوم اللغة العربية.

والمسـتعمر يريـد أن نتعلم لغته دون لغتنـا لغة القرآن، وهو لا يقـول لـك: اترك لغة القرآن، لكنه يقول لـك: هذه لغةٌ قديمةٌ لا فائـدة لـك منها اليـوم، تَعلَّم اللغـاتِ الحيَّةَ التـي تخدمك أينما سرت مـن بلاد الدنيا. وهذا أسـلوبُ المخادعين الذين يدسُّـون السـمَّ في الدَّسـم، فنحن لا نُنْكِرُ فائدة تعلُّم اللُّغات التي تتداولها أُمَمُ الأرض كثيراً كالإنجليزية، فهذا له فوائدُه في نقل العلوم وفي تعـرُّفِ ما يجري في العالَم، وفي تعرُّف ما يحوك أعداؤنا من الفتن لنا، ولكن ليس على حسـاب لغتنا التي هي أَوَّلُ الوسـائل لمعرفة كتاب ربِّنا الذي أَخْرَجَنا من الظلمات إلى النور.

وهـي أَوَّلُ الوسـائل إلى الوَحْـدةِ العربيَّة والإسـلامية، إنها ليسـت لغة ميتة، هي أوسع اللغات وأقدر اللغات على استيعاب

كل ثقافة، وقد جعلها آباؤنا لغة العلم لكُلِّ راغب فيه من غير العرب، ولكننا أهملناها وجهلناها حتى شَكَّكَنا فيها المشكِّكون وزعموا أنها لغة ميتة، واللغات لا تموت إلّا بإهمال أهلها ولا تحيا إلّا بعناية أهلها، وقد اعتنى بها آباؤنا فكانت في أيامهم أوسعَ اللغات انتشاراً، وهؤلاء المشكِّكون رغَّبونا عنها إلى لغات المستعمرين لنكون تبعاً للمستعمرين في ثقافتنا وعلومنا وأفكارنا، وثمرةُ ذلك أن نكون تبعاً لهم في سلوكنا وأعمالنا فيظل الاستعمار مسيطراً علينا إلى الأبد من قريبٍ أو من بعيد.

نحن نحتاج إلى العودة الجادَّة إلى العربية الفصحى فهي وسيلة وَحْدتنا، وأيُّ لغة محلية نتخذها بديلاً عنها لا تؤدي هذا الدَّوْرَ، وإنْ أدّت شيئاً منه فهو أداءٌ ضعيف؛ ولْيسأَل كُلٌّ منَّا نفسَه هل يفهم المعاني باللغات المحلية غير لُغَةِ بلدِه على الوجه التام؟ فإذا عرف أن الجواب هو (لا) فلْيَعْلَمْ أنَّ الآخرين يفهمون المعاني بلغته المحلية كما يفهم هو المعاني بلغاتهم، فإذا قال بعض الناس يمكن أن نتعلم هذه اللغات المحلية قيل له: إنك تحتاج إلى وضع

قواعد جديدة لكل لغة محلية، ولن يمكن ذلك بسرعة كافية، ولو عملناه لجعلنا لغتنا مجموع لغات، وكُلٌّ منّا يدعو إلى لغته، وهذا هو التفرُّق بدلاً من الوَحْدة والإخاء والتعاون.

أخي القارئ.. إنَّ إهمالَنا لغةَ القرآن له نتائج مرّة كثيرة زيادة على تفرق المسلمين وزيادة على تبعيتهم للمستعمرين وزيادة على حرمانهم من الصلة بالقرآن الكريم، فالقضية ليست قضية حرمان من القرآن فقط، إنها أسوأ من ذلك فهي تؤدي إلى فهمه فهماً خطأ يُزَيِّف معانيه، فهناك أخطاء قائمة على الجهل بمعاني كلماته كما قال بعضهم حين سُئِل عن معنى الأنصاب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[1]، فقال الأنصاب معناها: النصّابون الذين يحتالون على الناس. أمّا معناها الصحيح فهو الحجارة التي كان أهل الجاهلية ينصبونها لذبح الذبائح عندها ولعبادتها.

وهناك أخطاء قائمة على الجهل بقواعد تركيب الجملة في

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠ .

اللغـة العربيـة كما فسّر بعـضُ الجهلة قولَ الله تعـالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾[1]، فقـال إن إبراهيـم اختبر الله تعالى، فعكس معنى الآيـة، ومعناهـا هـو أن الله تعـالى اختـبر إبراهيمَ عليه السـلام، واختبـارُ الله للمخلوقـين لا لأجـل أن يَعلم حالَهم فهو سـبحانه يعلـم السرَّ وأخفى، بل لأجل أن يُظهر لهم ما يَعْلَمُه من أحوالهم فيكافئهم على الخير بالخير وعلى الشرِّ بالشرِّ، وقد اختبر سـبحانه سـيِّدنا إبراهيمَ عليه السلام ليُظهر للناس فضائله فيتخذوه إماماً يقتدون به .

واعلم أيُّها القارئ أنَّ هذا الفهم الخاطئ في كثير من الآيات هو وسيلة أعدائنا إلى تشكيكنا في كتاب ربِّنا حتى ننسلخ منه تماماً انسـلاخَ العملِ وانسلاخَ الإيمان فنكون من الكافرين، فاحرص عـلى تعلُّم لغـة القـرآن الكريـم: تَعَلَّمْ معـانيَ مفرداتـه، وقواعدَ تركيـب جُمَلِهِ أوَّلاً ثمَّ تَعلَّمْ تفسـيرَه ليكُونَ تَدَبُّرك له أيسر وأكثر، وليكـون عملـك مبنيّاً على علـم مُحكَم. ولْيكن أهـمُّ ما تقتني في

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤ .

بيتـك كتاباً يشرح مفـردات القـرآن بإيجاز ثم كتابـاً يفسر معانيه بإيجـاز، ثـم توسَّـعْ بعد ذلـك، وأَوْصِ بهـذا كل أخ مسـلم وكل صاحب بيت مسلم.

وأنت أيها القارئ المسلم غير العربي تعلَّم أولاً معاني كلمات الصَّلاة والأذان والسـور القصار التي تحفظها، ثم تعلَّم تفسيرها وتعلَّـم الحروف العربية والكتابة العربية لتقرأ القرآن مباشرة، ثم اسـأل عن معاني كلماته واحدة واحدة، تجدْ أنه يسـهل عليك بعد ذلـك تعلـم لغة القرآن، ثـم تَفَهَّم القرآن وتدَبَّـر القرآن، وأوصِ بهـذا كل أخ مسـلم غير عربي حتى نقترب كلنا مـن القرآن أكثر، وتجتمع عليه قلوبنا أكثر.

ولا تقل يكفيني أن أقرأ ترجمة تفسير القرآن فهذا يجعلك كأن بينك وبينه حجاباً، ويحرمك من التزود من كتب تفسـيره الكثيرة التـي تتصل بها حين تتعلم لغة القرآن، كما يحرمك من الأحاديث النبويـة الكثـيرة التي تتصل بها حين تتعلم لغـة القرآن، ويحرمك من التواصل التام مع إخوتك العرب وإخوتك المسلمين.

ولا تنس أيها القارئ المسلم أبداً قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [1]، ولا تنس أبداً وصية رسول الله ﷺ فيما روى البخاري: « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » [2]، فإنَّ أول مراحل تعلمه بعد قراءته أن تتعلم لغته حتى تفهمه .

(١) سورة يوسف: الآية ٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب «خيركم من تعلم القرآن وعلمه ».

(٢) الترابط بين القرآن والعربية

الترابـط بـين القرآن واللغـة العربية ترابط عضـوي تمتد فيه الشرايـين وتجري الدمـاء، والفصل بينهما مسـتحيل إلا بالقضاء على حياتهما أو تشـويههما أشـد التشـويه، فاللغـة العربية ـ كما هو معلوم من تاريخ علومها ـ نشـأت وبسقت فروعها وأينع ثمرها في ربـوع القـرآن، وإن كان للشـعر العـربي وكلام العـرب أثـر لا ينكر.

وعلوم العربية هي الوسيلة الأولى لفهم القرآن الكريم فهماً سـليماً محكمـاً، وهذه قضيـة بدهية لا تحتـاج إلى برهان، فما من كلام يقوله إنسان بأي لغة من لغات البشر إلا ويتوقف فهمه فهما سـليما محكما على اللغة التي كتب بهـا، ولذلك نجد أن الاتفاقات الدولية يتفـق أهلها في جملة الشروط على تعيين اللغة التي تكتب

بها، وإذا كتبت بلغتين أو أكثر يتفقون على الأصل منهما أو على أن كلّاً منهما أصل بنفسه، وقريب من هذا حال القوانين وقرارات المحاكم لأن اختلاف الفهم في هذه القضايا خطيرة ثمراته، أما الاطلاع على هذه الأمور اطلاعا إجماليا فهذا يمكن بالترجمات، وهذا هو المقصود بترجمات معاني القرآن الكريم، وهو - في باب العلم واستخراج المعاني الخفية وتدقيقها ـ لا يغني شيئا.

وإذا صَحَّ هذا - وهو صحيح لا يرتاب فيه ذو علم - فهو أصح ما يكون في الكتب الإلهية لأنها تشتمل على المبادئ الاعتقادية والتشريعات العملية، والتدخل البشري محفوف بالمخاطر والفساد من جميع جهاته، ولأجل هذا منع العلماء المسلمون ترجمة القرآن إلى غير العربية دفعا لهذه المخاطر، وإنما تترجم معاني القرآن أي: يترجم تفسيره من خلال وجهة فهم المفسر والمترجم وقد يخطئان، ولا سيما أن القرآن مكتوب بأسلوب تكثر فيه المعاني، وبعضها أظهر من بعض وأقوى دلالة. وهذه الأمور يدركها المرء بالبداهة فلا تحتاج إلى برهان أكثر مما تقَدَّم.

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

وإذن فارتباط القرآن باللغة العربية ليس أمراً خطأً بل هو أمر علمي محكم البرهان بكل منطق يعتمد عليه العلماء والعقلاء، وفهم القرآن - سواء كان سليماً محكماً أو كان إجمالياً - هو غير فهم الإسلام عقيدة وشريعة، وهو غير تلاوة القرآن للأجر والثواب دون إدراك المعنى، ولذلك يمكن أن يكون في الدنيا ملايين من المسلمين لا يعرفون العربية، ولا يجب عليهم أن يتعلموا من العربية إلا ما لا بدّ منه في نطق الشهادتين وتكبير الصلاة ونحو ذلك، وهو يسير، وما يجب من تلاوة القرآن في الصلاة والتشهد والصلوات الإبراهيمية عند من يقول بوجوبها، إنما يجب قراءته باللفظ العربي وإن كان لا يفهم القارئ معانيه، فليس هناك ترابط بين العربية والإسلام بحيث يتوقف الإيمان والإسلام عليهما إلا هذا الترابط اليسير .

نعم.. ينبغي لكل بلد إسلامي أن يكون فيه علماء يقومون ببيان كتاب الله تعالى وبيان سنة رسول الله ﷺ وأحكام الشريعة للناس فهذا واجب على الكفاية وهو يستلزم معرفة اللغة العربية بإحكام وتفصيل وإذا تركوا ذلك كان معصية ولكنه ليس تركا للإسلام.

وهذا المطلوب تعلمه من العربية ـ قليلا أو كثيرا ـ لا يوجب بحال من الأحوال أن يتخلى المسلمون غير العرب عن لغاتهم بل من حقهم أن يحبّوها ويخدموها ويكتبوا بها آدابهم وعلومهم دون أن يُلاموا دينيا أو قانونيا أو سياسيا، وإنما ترك كثير من المسلمين لغاتهم الأصلية حُبّاً بالعربية وإعجاباً، لا كما فعلت الأمم القوية التي نشرت لغاتها بأقسى أساليب الإكراه، بل كتب المسلمون غير العرب دواوين شعر عربية كثيرة وأنشؤوا كتبا خالدة بسبب حبهم للعربية دون دافع آخر، والحمد لله رب العالمين .

(٣) المسلمون واللغة العربية

في أحد المؤتمرات الإسلامية في بلد إسلامي غير عربي لفت انتباهي أنه كانت الكلمات تلقى بلغات ثلاث: العربية والإنجليزية ولغة البلد: أي بلد انعقاد المؤتمر.

هل هذا ينافي تعاليم الإسلام؟

الواقع يقول: لا، فالبلاد الإسلامية من قديم يتكلم كل منها بلغته، ولكن من الغريب فعلاً أن تكون الإنجليزية إحدى اللغات التي تكلم بها بعض المحاضرين، وأن تكون إحدى اللغات التي يعتمد عليها في التفاهم بين شعوب إسلامية، ليست الإنجليزية لغتها في وطنها.

ولذلك طرحتُ هذا السؤال على الحاضرين: لماذا لا نتخذ

العربية « لغة تفاهم » بين الشعوب الإسلامية كلها دون أن نلجأ إلى الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأجنبية، فحيثما اجتمع مسلمان تختلف لغتاهما تفاهما بواسطة اللغة العربية ؟

وقد رحب المؤتمرون بهذا الذي قلته، ولكنه الترحيب بالكلام - كما اعتدنا - ثُمَّ لا يكون بعد ذلك شيء عملي، وأنا أعلم أن هناك إشكالات في النفوس حول هذا الأمر، ذكرت لي في مناسبات أخرى، وقيل لي: إن اللغة الإنجليزية لغة عالمية وأمَّا العربية فليست كذلك.

قلتُ: هذا صحيح من جهة الواقع، ولكن علينا أن نسأل أنفسنا هل كانت الإنجليزية لغة عالمية في العالم القديم ؟

الواقع يقول: لا، ففي العالم الأوربي كانت اللغة العالمية بينهم هي اللغة اللاتينية، وفي عالمنا الإسلامي كانت اللغة العالمية هي العربية، وإنما صارت الإنجليزية اللغة العالمية الأولى بسعي أهلها وجهودهم بغض النظر عن أن هذه الجهود بعضها

كان بحـق وبعضها كان بباطل، المهم أن لغتهم سـادت بعد أن لم تكن سائدة، واللغة العربية أصبحت عالمية بعد أن لم تكن، وذلك بجهود أهلها من جهة، وحب المسـلمين غير العرب لها من جهة ثانيـة لأنها لغة كتاب الله وسـنة رسـول الله ﷺ حتـى كان بعض أبناء تلك الشـعوب ذوي أثر عظيم في دراسـة العربية وتأسـيس علومها بـكل تفاصيلها، فاللغـات إنما تأخذ انتشـارها وعالميتها بالسعي والاجتهاد.

وقـد قيـل لي في مـرة أخـرى عـن سـبب اشـتغال النـاس بالإنجليزيـة إن الإنجليزيـة تقرر عـلى الطلاب دراسـتها في كل مدارس العالم كلغة ثانية للمتعلمين ولا كذلك العربية.

وأقول أيضاً: هذا صحيح واقعاً وغير صحيح منطقيّاً . فهو واقـع وهذا صحيح، ولكن ألا يمكن أن تكون العربية هي اللغة الثانيـة في كل مدارس العالم الإسـلامي في البـلاد غير العربية ؟! فهـي لغة الإخاء الإسـلامي، وهي لغة الثقافة الإسـلامية، وهي لغـة الكتـاب الأول عنـد المسـلمين وهـو القـرآن، ولغـة النبـي

الكريم ﷺ الذي بيّن الدِّين. أقول هذا لا على قصد ترك اللغات الأخرى التي هي لغة الثقافات العالمية بل على قصد أن تكون اللغة العربية في البلاد الإسلامية كلها مقدمة على غيرها. ولو أن الإنسان المسلم غير العربي عرف معاني ما يستعمله هو والجميع من الكلمات العربية في لغات البلاد غير العربية لحصل منها قدرا جيدا مثل كلمات الأذان والصلاة، ويقال مثل ذلك في السور القصيرة التي يقرؤها في الصلاة فلو عرف معانيها لحصَّل بها قدراً من معرفة اللغة العربية نافعاً بإذن الله .

وقد ذكرتُ للإخوة الحاضرين في ذلك المؤتمر أن المسلمين غير العرب يحتاجون إلى تعلم العربية على ثلاثة مستويات:

- **مستوى المحادثة** عند لقاء بعضهم بعضاً.

- **ومستوى الثقافة** أي قراءة ما يكتب باللغة العربية من جرائد ومجلات، وما يقال من خطابات .

- **ومستوى العلم المتعمق** الذي يستطيعون به فهم القرآن

والسـنة وآثار الصحابة حتى يكونوا قادرين على الفقه في الدِّين، وذلك كما فعل المسلمون غير العرب في صدر هذه الأمة واستمر ذلك زمناً طويلاً حتى نهاية الدولة العثمانية، وهذا يظهر لكل من قـرأ كتب الأواخر منهـم والأوائل، فهذه كتب الشـيخ مصطفى صـبري يتداولهـا أبنـاء العـالم الإسـلامي العرب وغـير العرب، وكذلك كتب الشـيخ زاهد الكوثري رحمهـما الله تعالى، وهما من أبناء (تركية)، وقـد ألّفا المقالات والكتب بالعربية كما فعلا ذلك بالتركية .

ولا يمكن أن ينسـى المسلمون أبداً أنَّ أبا حنيفة أحد الأئمة الأربعـة المجتهديـن، وأنـه كان في الأصل فارسـياً، ولا سـيبويه الـذي كان أحد أكبر المؤسسـين لعلم اللغـة العربية وهو فارسي، وكـذا أبو عـلي الفارسي وتلميذه ابن جني وهـو رومي. فقد كان هؤلاء – وغيرهم كثير – من صناع الثقافة العربية والإسلامية.

إنَّ الطريق لا يزال مفتوحا أمام العالم الإسـلامي لاستدراك

ما شغلته عنه الظروف في تاريخه الحديث إذا أراد لنفسه أن يكون إسلاميا في ثقافته كآبائه السابقين، ولو أن كل شعب من الأمة الإسلامية عمل معجما للكلمات العربية التي دخلت إلى لغته لوجد شيئا كثيرا تتكون به مقدرة جيدة على المحادثة، فبعض هذه اللغات ـ كما يقول أهلها ـ نصفها من أصل عربي.

وما تقَدَّم ذكره من خدمة العربية لا ريب أنه خدمة لديننا وكتابنا وأُخُوّتِنا الإسلامية والحمد لله رب العالمين.

(٤) ما حاجتنا إلى حماية لغتنا العربية؟

سؤال غريب كان ينبغي ألا يطرح في أرض العرب وبين أمة العرب ولا بين أمة الإسلام. ولكن ظروفنا أصبحت تمليه علينا وتلزمنا بالجواب عنه. وينبغي كي يكون الجواب دقيقا أن نطرحه جزءا جزءا لأنه يتضمن إشكالات متعددة.

هل نحن بحاجة إلى اللغة العربية؟ هذا الجزء من السؤال أغرب من ذلك السؤال العام فكل أمم الأرض ترى لغتها هي العنصر المهم إن لم يكن الأهم على الإطلاق، فبدون اللغة الواحدة تفقد شعوب الأمة الواحدة ترابطها، وتفقد خصوصية ثقافتها التي تتكون منها شخصيتها المميزة لها عن الأمم الأخرى، وتفقد صلتها بتاريخها الذي ربط بينها على امتداد الزمن، وإذا ضاعت

هـذه الثلاثـة لم يبق للتميـز الموروث معنى، ولا يشـعر بـه أبناؤه المتناثـرون بين البلدان والشـعوب، وإذا لاحظنا ارتباط الأكثرية السـاحقة من الأمة العربية بالقرآن وهو المكوِّن الاساسي لعقلها ومبادئها وأخلاقها، وقد جعله الله « قرآناً عربياً » أدركنا ضرورة اللغـة العربيـة لحياتنـا كأمـة، وضرورتهـا للترابط مع الشـعوب الإسلامية في شتى بقاع الأرض في جهاتها الأربع.

وليـس معنى هـذا أن العرب غير المسـلمين لا تعنيهم اللغة العربيـة أو لا أهميـة لهم عند العرب المسـلمين، بـل القرآن ودين الإسـلام ربـاط خـاص بين العـرب المسـلمين مع الاشـتراك في الإطـار العـام ببنوده الثلاثة السـابقة بالعرب غير المسـلمين، بل إن القـرآن داخل في ثقافة العرب غير المسـلمين كعلم وكتاريخ، وإن لم يدخـل فيها كدين، كما أن الشـعر الجاهـلي الذي لا تدخل مبادئه في عقيدة المسلمين هو داخل في ثقافتهم اللغوية، وثقافتهم التاريخية، متغلغل في فكرهم.

وإذا أردنا أن نعرف القدر المشترك بين ثقافة العربي المسلم والعربي غير المسلم فلننظر مثلا في شعر الأخطل التغلبي ومعانيه وتعبيره عن الطبيعة العربية والفكر العربي والثقافة العربية هل يحس قارئه بفارق كبير بينه وبين شعر جرير والفرزدق؟

قلت: هذا لئلا يَشعُر بالحساسية تجاه ما أقول أحدٌ من المسلمين ولا غيرهم من الأمة العربية، وهذه كلمة موجزة تحتاج إلى تفصيل أرجو الله أن أتمكن من بيانه مستقبلا لأكشف عن سر التعايش التعاوني بيننا وبينهم على امتداد أربعة عشر قرناً ونيّف دون أن يتركوا دينهم أو نترك ديننا.

وأعود الآن إلى أصل قضية اللغة العربية وحاجتنا إليها فتراثنا كله وثقافتنا كلها وتاريخنا كله كتب بهذه اللغة، وإهمالها يعني إهمال هذه المقومات، ولا تغنينا عنها اللغة العامية فهي لا تقدر اليوم على أن تربط بين الشعوب العربية ربطا عاديا عند المحادثة فضلا عن العلم والثقافة، فالاعتماد عليها في قراءة العلم والثقافة هو أشبه ما يكون بالاعتماد على لغة الجرائد في

فهم المعادلات الرياضيـة والقوانين الفيزيائية، ويمكن للمرء أن يأخـذ فكرة عـن ذلك من مشـاهـدة الشـعوب العربية للأفلام التـي تأتي من بلدٍ عربيّ غير بلد المشـاهد وبلهجة غير لهجـة بلده حيـث تضيع عليـه كثير من المعـاني لعدم معرفتـه الدقيقة بلهجة الممثلـين المحليـة . فكيف لو دخلت هـذه اللهجات في الكتابات العلمية والثقافية ؟

وإذا قـال بعـض المتهاونـين إنـه يمكـن حل هذا الإشـكال بعمل معجمات لهذه اللهجـات كان جوابه أن المعجمات في اللغة الفصحى جاهزة فلماذا نتركها لننشـئ من جديد ثقافةً تجعل لغتنا الواحـدة لغاتٍ شـتى تؤول في المسـتقبل إلى انفصام تـام كالذي أصاب اللغة اللاتينية. وشـعوب أوربا نفسـها تـود لو أنها كانت لها اليوم لغة توحد بينها تكمل بها وحدتها السياسية والاقتصادية التي تريد أن تكملها، يا عجبا للمتهاونين يسعون إلى تبديد اللغة والثقافـة والأمـة في حين تبحـث شـعوب الأرض الأخرى عن روابط جديدة – ولو وهمية – لتقوي وحدتها !

وإذا زعـم المتهاونـون أنهـم يريـدون لأمتهم أن تتـزود من ثقافـات الأمـم الأخرى فهـل الطريـق إلى ذلك هـو التخلي عن لغتهم؟ فلينظروا إلى الأمم التي نهضت بالاعتماد على علوم الأمم الأخـرى هل هجـرت لغاتها وأخذت بلغـات الأمم الأخرى أم درسـت وتعلمت لغات الأمم الأخرى لتنقل ثقافاتهم وعلمهم إلى لغتها وثقافتها وعلمها إلى أن استقلت بإنشاء علومها وثقافتها الخاصة وصارت تنتج كما أنتجت تلك الأمم ؟

ومـن الغرائـب أن يقـول لنـا بعـض المأخوذيـن بثقافـة الآخريـن إن الأفضـل لنـا أن نتعلـم لغـات الثقافـات الحديثـة لنبقى على تواصل دائم مع ما يسـتجد من النظريات والكشـوف العلميـة، وهذا يفوتنا لو اعتمدنا الترجمة أساسـا لنقل العلوم إلى الشعوب العربية!

هـذا القول يتصور صاحبه أننا ندعـو إلى عدم تعلم اللغات الأخـرى بينـما مرادنا هـو ألا تشـغلنا لغاتهم عن لغتنـا فنهملها، ويتصـور أننـا نريـد أن نترجـم مـا هـو موجـود اليوم مـن كتب

العلـم الحديـث ثم نغلـق باب الترجمـة وهذا يجعلنـا على خلاف قاعدة التقدم العلمي عند الشـعوب الحيـة التي عوضت ما فاتها باسـتمرار الترجمة ليـدوم التواصل، واسـتمرار البحث ليسـتمر التقدم العلمي عندنا.

وأغـرب مـن هـذا أن يدعونا هـؤلاء إلى اللغـات الأخرى كالإنجليزيـة مثـلا لنتخذهـا وسـيلة تفاهـم مـع كل الشـعوب الأخرى لأنها لغة عالمية!

وهذا القول أيضاً هو دعوة إلى التقاعس من باب آخر فبدلاً مـن أن نسـعى إلى نشر لغتنا كما نشروا هـم لغتهم حتى أصبحت لغة عالميـة، يدعونا هؤلاء إلى اللغات الأخـرى كي تصاب لغتنا بالهوان، وتؤول إلى الاندحار، أي نفعل عكس ما فعلوا!

فإن قيل لنا: إن هذا أمر يطول السعي إليه حتى نبلغه فليسأل هذا القائل نفسَه: لو فعل البريطانيون ما يقوله فهل تصبح لغتهم لغة عالمية كما هي الآن؟ فلماذا الدعوة إلى التقاعس؟

ولا بـد أن ينتبه الداعـون إلى الاعتماد على غير العربية إلى أن نشر العربية اليوم في كل العالم أيسر من نشر أي لغة أخرى بسبب المسلمين غير العرب وهم يملؤون بقاع الأرض؛ فعند كل منهم قـدر من العربيـة لا بد منه هـو كلمات الإيمان والعبـادات ونحو ذلك، وعندهم الدافع القلبي إلى التعلم وهو الحب للغة القرآن.

فلنغتنم هذه الفـرص قبل أن يفوت الأوان فإن لغتنا تعيش حالـة مداهمة من اللغات الأخـرى أو هي تتعرض لاجتياح أكبر بكثير من الاجتياح الذي خافه البريطانيون على لغتهم حين قالوا بالأمـس القريب عن إعلان نُشر باللغة الهولندية في بريطانية: إن هذا العمل هو اجتياح لبريطانية.

ولننظـر إلى واقـع لغتنا – حتى العاميـة المحلية – هل تواجه الخطر وتتعرض للضياع لكي نجيب على السـؤال المطروح أولا: هل نحن بحاجة إلى حماية اللغة العربية ؟

والمثـال يوضـح ذلك ففـي بلادنا يبقى غير العربي سـنوات دون أن يتعلم شيئا ذا بال من العربية؛ لأننا نكلمه بلغته ولو كان

خادمـاً، ألا يعنـي هذا أن لغتنا تفقد أهميتهـا في وطنها، وتداهمها الكلمات والجمل من اللغات الأخرى؟ فأين تكون النهاية سوى الاضمحلال؟

في البلـدان المتقدمة يرفض ابن البلـد غالبا أن يرد عليك إذا كلمته بغير لغته لأنه يعد ذلك إهانة!

وفي ألمانية صدر قانون يمنع إعطاء تأشيرة إقامة إلا لمن يثبت أنه تلقى دورة محادثة باللغة الألمانية قبل أن يدخل ألمانية!

أما في بريطانيـة فقد قامت الدنيا لأن شركة هولندية نشرت إعلانا باللغة الهولندية، وسموا ذلك «اجتياحا»!

تُـرى ما الـذي سـيحل بلغتنا الفصحـى ـ وكذلـك العامية المحلية ـ إذا لم نسارع إلى «حماية لغتنا العربية»؟ وما الذي يبقى لنا من «هويتنا العربية» إذا فاتنا أن نحمي لغتنا العربية؟

(٥) لغتنا العربية والتجديد

التجديد في أي أمر ضرورة ملحة، فبدونه تركد الحياة وتجف ثم تموت، وبالتجديد تتحرك الدماء وتنمو الخلايا وتتكاثر وتتوالد، وهو لا يكون تجديدا إلا إذا كان حقيقيا، ولا يكون حقيقيا حتى يبدأ من اللب ويشمل المظاهر، فإذا لم يكن في اللب كان مجرد خداعٍ للعيون، وإذا لم يشمل المظاهر مَلَّتْه العيون وشُغلت عنه بما يلفت أنظارها.

وحقيقة التجديد هي استبدال ما مات أو تواهى وسار نحو البِلى، أو لم يعد يؤدي وظيفته على الوجه الأفضل، وصار غيره خيراً منه في أداء هذه الوظيفة، أمّا استبدال ما كان حَيّاً يؤدّي وظيفته على الوجه الأفضل فهذا ليس تجديداً وإنما هو تبديد.

وحـين يتحَدَّث المرء عن التجديـد في اللغة يتوجه بنظره إلى الغاية التي أنشئت اللغة من أجلها وهي الفهم والإفهام، وإبلاغ الآخرين ما تود النفس أن تبوح به فتغري به وتحببه إلى القلوب أو تنفـر منه وتبغضه إلى القلوب فيرى أي جوانب اللغة هو المحتاج إلى التجديد فيصرف عنايته إلى تجديده.

ولكل لغة قدرتها الخاصة على بلوغ هذه الغاية، وتعتمد هذه القـدرة في أول مـا تعتمد على كثرة مفرداتها كثـرة حقيقية بحيث تـؤدي كل واحـدة ما لا تؤديـه الأخرى، وتعطي مـن دقة المعنى وتفصيلـه ما لا تعطيه الأخرى فتغني الكلمـة الواحدة حينئذ في أداء المعنى عن الجمع بين كلمات متعددة لبلوغ المقصود.

والأمثلـة تعطـي مـن التوضيـح لهـذه المسـألة مـا لا يعطيه الإجمال، ومفردات لغتنا قليل منها الجامد الذي يؤدي المعنى من جهة واحدة فقط نحو كلمة (أرض) و(نخل)، وأكثرها مشتقات يلاحظ فيها معنيان: معنى مادة الكلمة، ومعنى صيغتها؛ فالمتكلم

حـين يريـد أداء معنى مـن المعاني المفـردة يبحث أولا عـن المادة الأقـرب إلى غرضه لكي لا يحتاج إلى إضافة كلمة أو أكثر يوضح بهـا مـا يريد، ثم يبحث عـن الصيغة التي تؤدي معنـى هذه المادة على الوجه الأنسب للمقصود.

فالذهـاب مثـلاً معنـى عـام يعـبر عنـه بالغـدو إذا كان في الصبـاح، وبالـرواح إذا كان في العـشي، فـإذا أراد المـرء أن يخـبر عـن ذهابه في الصبـاح دون تطويل قال: «غدوت إلى عملي» وإذا اسـتعمل لفـظ الذهاب اضطـر إلى أن يقول : ذهبـت صباحا إلى عمـلي، وهـو أمر يغنـي عنه اسـتعمال لفظ الغـدو، وكذلك يقال في الـرواح. وإنما يسـتعمل المرء لفظ الذهـاب حيث لا يحتاج إلى أن يبـين وقته فيكتفي بأن يقول: ذهبـت إلى عملي. فاختيار المادة الأقـرب إلى الغرض من الـكلام هو المرحلـة الأولى من التعبير، وكلما كانـت اللغة لديها مواد أكثر وأدق تفصيلا كانت أقدر على مسايرة الحياة، وفرضت نفسها على الناس حين يقدمها لهم أهلها بالصورة التي تكشف عن تميزها.

أمّـا إذا كانت اللغة فقيرة في موادها فسـيضطر أهلها إما إلى التعويض عن ذلك باسـتعمال كلمات عدة بـدل الكلمة الواحدة وإما إلى الاستعارة من اللغات الأخرى لتجنب التطويل.

وفي لغتنا العربية كثرت المادة كثرة كبرى، وكل واحدة تؤدي عند التدقيق ما لا يؤديه غيرُها؛ ولذلك احتاج علماؤنا إلى تأليف كتـب تبرز الفروق، فأُلِّفت كتـب بعنوان الفروق لإبراز الموضع الأخص بكل كلمة عندمـا تتقارب المعاني، وكتبت كتب توضح ذلك ضمن النطاق العام وهو فقه اللغة.

ثُـمَّ بعـد النظر في مادة الكلـمات يلاحظ في مفـردات اللغة العربية جانـب الصيغة والمعنى الذي تؤديه المفردة بصيغتها، هل فيـه من التفصيـل والتدقيق ما يكفـي ويغني عـن التطويل بعدة كلـمات أو يُضطر المرء معه إلى الاسـتفادة مـن اللغات الأخرى؟ وهذا الأمر هو المعروف بالاشتقاق الصرفي. والاشتقاق الصرفي في لغتنـا العربيـة لـه جانبان: الأسـماء والأفعـال، والمثال يوضح

فائدة الاشتقاق أكثر، ولنأخذ جانب الأسماء وكيف يغني اختيار الوزن الأنسب للغرض عن التطويل باستعمال كلمة بدل عدة كلمات.

فمثلاً كلمة « صادق » تدلُّ على الشخص الذي فعل الصدق بغض النظر عن التكرار أو الاستمرار والثبات، فإذا أراد المتكلم الدلالة على التكرار قال: « فلان صَدّاق ». وإذا أراد الدلالة على استمرار هذه الصفة فيه وثبوتها قال: « فلان صدوق »، ولولا أن يكون هذا النوع من الاشتقاق في لغتنا لوجب أن يقال: فلان صادق كثيراً أو مراراً أو نحو ذلك . وفي حالة ثبوت هذه الصفة عنده يقال مثلاً: صادق دائماً . أو نحو ذلك من التطويل.

وفي غير ذلك كالمصادر تقول: « هذه جِلسة حسنة » بدل «هذه هيئة جلوس حسنة» لأن وزن (فِعْلة) يدل على معنى الهيئة، وتقول: « جلست بمجلس فلان بدل جلست بمكان جلوس فلان لأن وزن (مَفعل) يدل على المكان. وهذا الاشتقاق

بتنوعـه تثـرى بـه اللغـة وتسـتغني عن التطويـل الـذي يمل منه الناس ويبحثون عن طرق تخفيفه ولو باستعمال كلمات من لغات أخرى.

وكما كان الاشتقاق في الأسماء واسعاً كان في الأفعال كذلك فنحن نقول مثلاً: « علم فلان هذا الأمر » فإذا أردنا الإخبار بأنه نقل علمه إلى غيره قلنا: « أعلم فلان أخاه هذا الأمر »، وإذا طلب أن يتعلمه قلنا: « استعلم عن هذا الأمر »، وإذا أردنا الإشعار بأنه بـذل جهدا لحصول العلم به قلنـا: « تعلمه »، وإذا أردنا الإخبار بأنـه تظاهـر بالتعلم قلنا: « تعـالم فلان »، وذلـك التنقل كله بين المعـاني يحصل بإضافة حروف يسـيرة أو اختيـار وزن معين دون الاحتيـاج إلى إضافـة كلمـة أو كلـمات، وهذا يحقـق الاختصار الـذي يرغب فيه الناس، ولكنهم حـين لا يعلمون يتوجهون إلى وسـائل من الاختصـار صماء لا تظهر فيها حقيقـة المعنى مثل أن نكتفي بحروف مقطعة كالذي اعتاده اليوم أهل اللغات الأخرى التي يقال عنها عالمية .

وقد قلتُ قبل قليل: **إنَّ الاشتقاق في لغتنا له جانبان:**

- **اشـتقاق في الأفعال** بحيث تـؤدِّي كل صيغة من المعنى ما لا يؤديه غيرها .

- **واشـتقاق في الأسـماء** بحيث تؤدِّي كل صيغة ما لا تؤديه غيرهـا .

وإذا لاحظنـا أن المصـدر - وهـو المـادة التـي تؤخـذ منهـا المشتقات - هو أمر معنوي يصلح أن يؤخذ منه اسم مشتق لكل ما وُجدَ فيه هذا المعنى، ظهر لنا سـعة مجال أخذ الأسـماء لكل ما يجـدُّ وجوده من الأشـياء، وظهر بذلك سـعة القابليـة للتجديد، ثـم إذا لاحظنـا في الأمـر جانب كثرة المواد وجانـب كثرة وجوه الاشـتقاق وتفصيلها أدركنا سـعة اسـتيعاب لغتنا لما يستجد من معاني المفردات وصفاتها، وذلك مما تقوى به لغتنا على الغنى عن غيرها في مجال مسايرة المستجدات بل على التفوق في ذلك.

ولكن لغتنا بحاجة ماسـة إلى جهـود أبنائها ليبرزوا جوانب

قوتها وتميزها، ويعيدوا لها وجهها المشرق الذي كانت به أول لغة عالمية، وذلك صورة من صور التجديد المضيء، وعسى الله تعالى أن يجعل بلوغ ذلك قريبا غير بعيد.

وقد مرَّتْ لغتنا بتجربة التجديد أكثر من مرة في حياتها، وللتجديد في اللغة جوانب، كل منها يحتاج إلى التوضيح والبيان والتفصيل، لعلَّ الله ييسر ذلك بفضله في مقالات أخرى إن شاء سبحانه.

(٦) لغتنا: الغريبة القريبة

لو قلنا لأي إنسان: (تكلمْ باللغة العربية الفصحى) لاعتذر بشتى الأعذار، وأغرب هذه الأعذار أن يقول: إن لساني لم يتعودها، وهذا أمر واقع فنحن قد أهملنا هذا اللسان دهراً طويلاً واستحكمت في ألسنتنا اللهجات المحلية حتى وقر في نفوسنا أن تعويد ألسنتنا على الفصحى مستحيل أو قريب من المستحيل لشدة صعوبته، وههنا قضيتان إذن: قضية ضرورة الإصلاح وقضية صعوبة الإصلاح.

أمَّا ضرورة الإصلاح فتمليها علينا حاجاتنا – بصفتنا أمّةً ذات كيان مستقل – إلى لغة واحدة تحفظ جانباً مهماً من وحدتنا،

لأنـه باللغـة يكـون التواصـل الفكـري والعاطفـي والتعاون في شـؤون الحيـاة، وكذلـك تمليها علينـا حاجتنا الدينيـة إلى الإخاء الإسلامي وإلى تقريب الصلة بيننا وبين القرآن الكريم والحديث الشريـف اللذيـن هما أصـل ديننا الحنيف، واسـتحكام المشـكلة لايقتـضي أن تبقى بلا حل كما أن اسـتحكام المرض لا يقتضي أن يـترك بلا علاج، بل ذلك يدعو إلى مزيد الاهتمام ومزيد الإسراع بالعلاج لأن إهمال المرض المستحكم يزيده خطراً بل يجعله قاتلاً قتلاً شنيعاً .

وأمّـا صعوبـة الإصـلاح فليسـت في حقيقة الأمـر بالشيء الحقيقـي، وإنـما الذي ضخّمها هـو تطاول الزمـن عليها، وعدم التدبر في الظواهر التي تشهد بسهولتها أو تشهد بإمكان الإصلاح وقربه وبساطته . نعم أقول ذلك جاداً غير هازل .

والـذي دعاني إلى ذلك ما رأيته من بعض الأطفال الذين لا يتجاوزون سـن الرابعة – وليس الرابعة عشرة – على أثر رؤيتهم في التلفاز قصة حيوانات تتكلم بالعربية الفصحى .

لقـد رأيـتُ بعيني وسـمعتُ بـأذني أولئك الأطفـال يتكلم بعضهـم مع بعض بالعربية، يحاكون ما سـمعوه في التلفاز محاكاة صحيحـة، وأهم مـا رأيتُ وسـمعتُ منهم أنهم كانـوا في بعض الأحيان يخرجون عن القصة التي رأوها إلى حديثهم العادي، ثم يعـودون إلى أحـداث القصة، فيكون حديثهم العادي اسـتمراراً للـكلام بالعربيـة الفصحـى، وإن كان فيـه شيء مـن الخطأ ففيه صواب أكثر.

ولا شـك أن هـذا الصواب لم يتعلموه مـن آبائهم وأمهاتهم أو إخوانهـم وإنـما هو شيء ادخرتـه أذهانهم مـن قصص أخرى سمعوها ورأوها، فإذا هي تنطلق من عقلهم الباطن إلى ألسنتهم عندما احتاجوا إليها .

وهذا يكشـف لنا عن أثر أجهزة الإعلام – لاسـيما المرئية – في عقولنا وألسـنتنا لو أَحْسَنَّا استخدامها والاستفادة منها وبذلنا

جهداً كبيراً عن طريقها لإصلاح حالنا في شأن لغتنا – وهي جانب مهم من هويتنا أمةً وديناً باعتبار أنَّ كل بلد عربي تشكل اللغة العربية جانباً من هويته الوطنية .

ولعلَّ بعض النَّاس يقول: إنّ هذا ممكن في الأطفال لا سيما في سن الرابعة وما بعدها قليلاً، وهي سن المحاكاة في اللغة وغيرها، وشأن الكبار يختلف عن ذلك ... كذا يقال ولكن الواقع الراهن والواقع التاريخي يشهد بخلاف هذا الذي يقال ويتردد على ألسنة كثيرة.

أمَّا الواقع الراهن فإنَّ بعض الأمِّيِّن الذين لايحسنون القراءة والكتابة لهم ولوع ببعض المطربين القدامى الذين كان بعض غنائهم بالعربية الفصحى، فنرى محبيهم هؤلاء يحفظون جانباً كبيراً من عباراتهم ويذكرونها عند مناسباتها .

وأوضح من ذلك دلالة على التأثر اللغوي بأجهزة الإعلام

أننا نرى من الأميين أناساً لهم ولوع بالأخبار السياسية لا تكاد تفوتهم نشرة إخبارية وهم يستوعبونها استيعاباً جيداً، ونسمعهم أحياناً يكررون بعض العبارات المهمة مع أن أكثر الأخبار في البلاد العربية تنشر بالعربية الفصحى وإن كانت فيها شوائب.

على أنَّ أسلوب المحاكاة أسلوب علمي عالمي حديث في تعلم الإنسان غيرَ لغته الأصلية، فهناك مؤسسات تعليمية متخصصة في تنظيم دوراتٍ في عدد من اللغات العالمية تأخذ الراغبين في التعلم إلى الموطن الأصلي لتلك اللغة، يعيشون ضمن أسرة هناك عيشة طبيعية تامة مدةً تناسب مستوى ذلك الراغب في التعليم.

وقد أثبتت الدراسات الميدانية تميز هذه الطريقة وتمام جدواها في التعود على سلامة النطق، وعلى جودة تركيب الجمل واستعمالها في موضعها المناسب . فكيف لا يكون لهذا

الأسلوب أثر في عودة الإنسان إلى لغته الأصلية ؟ بل هو الأسلوب العلمي الأقدم في تراث لغتنا العربية ؛ فقبل تدوين علوم العربية ووضع قواعدها وتلقيها عن العلماء المختصين كان أهل العلم يقصدون البوادي- قبل فساد الألسن فيها - ليصحَبوا أهلها، ويتلقّوْا العربية الفصحى من منابعها بطريق المحاكاة.

وقد اشتهر كثير من علماء اللغة بهذا الأمر، وكان من أشهرهم الإمام الشافعي رضي الله عنه فقد دخل البوادي القريبة من مكة المكرمة، وصحب قبيلة هُذَيْلٍ: يسمع كلامهم ويجالس شعراءهم فيحفظ ما تجيش به قرائحهم، وطالت صحبة الشافعي لهذه القبيلة سنوات، واشتهر بإتقانه لهجتهم وآدابهم حتى إنّ الأصمعي وهو اللغوي الكبير والأديب العجيب كانت عنده نسخة فيها مروياته من قصائد شعراء هذيل، فقصد الشّافعي فصححها وضبطها عليه، وكان يفتخر بذلك بين اللغويين والأدباء.

وهكـذا يظهر لنا مسـتوى النفع الكبـير في التعليم بالمحاكاة بشهادة الواقع، والتجربة التاريخية، والتجربة الحديثـة، والدراسة الميدانية . وذلك يدعونا إلى تركيز الاهتمام عليها، وابتكار أساليب جديـدة متعـددة للاسـتفادة منهـا في إعانـة أبنائنا عـلى التقدم في إصلاح الألسن وتعويدها على العربية القويمة.

فعسـى الله تعـالى أن يوفـق القائمـين عـلى أجهـزة الإعلام إلى أن يقومـوا بالـدور الكبـير في خدمـة لغتنا العربيـة الفصحى خدمـة لعروبتنـا ولديننـا ولهويتنـا الوطنية ولا سـيما الإكثار من القصـص الهـادف الذي يخدم أخلاقنـا ولغتنا الحبيبة، وتشـجيع كل من يسـتطيع المسـاهمة في هذا المضمار أو في الشعر أو غيره من فنون الأدب.

والمسؤولية الكبرى تقع على عاتق معلمي القرآن الكريم أن يعلمـوا طلابهم معاني جملـه ومفرداته بإيجاز؛ ليكون وسـيلة إلى

حفظ لغتنا اليوم وغداً كما كان بالأمس أيام الهجوم الاستعماري على لغتنا، فقد كان لها حصناً حصيناً .

والله سبحانه هو الموفق لكل خير وكل صواب.

(٧) بالأسلوب المبسط نخدم لغتنا

في لقـاء إعلامي مع أحد منتجـي برامج الأطفال ومترجميها عن اللغات الأخرى سُـئل عن أحد برامجه: لماذا ترجمه إلى العربية الفصحـى مـع أن إقبـال الأطفال يكـون أكبر عـلى البرامج التي تتكلم بلغتهم المحلية؟ والربح إذن أكبر؟

وكان في جوابـه ما يلفت النظر ويدعـو إلى التدبر في ترتيب قائمة الأولويات لدينا.

قال المنتج: نحن لم نخرج عن هذه القاعدة ولكننا نظرنا إليها مـن زاوية أخرى، التوزيع فيها أكثر والربح فيها أوفر، فالبرنامج ذو اللغـة المحليـة توزيعه أكثـر في نطاق البلد الـذي يتكلم بتلك اللهجـة، ولكـن الذيـن يفهمـون اللغة العربيـة المبسـطة – التي

اعتمدناهـا في الترجمـة – أكبر كثـيراً إذا لاحظنا كثـرة هؤلاء على امتداد البلاد العربية.

وانتهـى ما يهمنا من هـذا الحوار، وفيه جانبـان يحتاجان منا إلى مزيـد التأمل، فالفكرة صحيحة تجاريـاً، ومفيدة ثقافياً، وهي تسـاعد على مد الجسـور وإحيـاء الترابط مع لغتنا التـي تهاونّا في حقهـا كثيراً، وتؤكد أننا حين نهتم بهـا لا نخسر مالياً بل هو أكثر ربحـاً، ومثل هذا يلاحظ في الأفلام التي تأتي من البلاد الأجنبية أيضـاً، والجانـب الآخر في هـذا الحوار هو أننـا لم نلتفت إلى لغتنا إلا عنـد ملاحظة الربح المالي .. هـذه قضية تحتاج منَّا إلى مراجعة لا سـيما أن الأمـر يتعلـق بهُويتنا، فنحتـاج إلى اهتـمام أكبر بل إلى تضحية وبذل.

وفضلاً عن مسـألة الهُوية فإن مثل هذا البرنامج يُسـهّل على أبنائنا الدراسة والاستيعاب، واعتياد التفكير في العبارات العربية في جميع مواد الدراسـة المكتوبة بالعربية، هذا فيما يتعلق بالبرامج المعـدة للربـح، أمَّـا واجبنـا الحقيقي فهـو أن تأخذ هـذه البرامج

حصة الأسـد من اهتمامنا وأن يُشـجَّع المهتمون بها بجميع وجوه التشـجيع ماليةً ومعنويـةً، وأن يُركَّز فيها عـلى مضمونات ثقافية تعـزز تعميـق ثقافتنـا العربية دون إهمـال الثقافـة العالمية، ودون طغيانها على ثقافتنا، بحيث تتجدد دماء العربية باستمرار.

وأهـم ما في هذا الخبر أن الطريـق إلى خدمة هذه اللغة ليس بالطريق الشـاق الطويل إذا أحسـنّا السـير فيه بخطى مدروسـة ثابتة، وحسـبنا ما في ذلـك الحوار الذي صورت بـه هذه الكلمة من الدلالة على أن القدر المشترك في هذه اللغة بين العرب ـ حتى عـلى مسـتوى الأطفال ـ ما يـزال ذا فائدة كـبرى في تعلم العربية رغـم إهمالنا الطويل ورغـم الكيد المنظم لهذه اللغة منذ زمن غير قليل، فهذا القدر يسـاعدنا أيما مسـاعدة على استعادة لغتنا وعلى دخولهـا بقوة في كل ميادين حياتنا لـو أردنا ذلك وأعطيناه حقه، وأقـل ما في هذا الحـق ألا يكـون اهتمامنا بلغتنا تابعـا للأهداف الأخرى وإن لم يكن هناك مانع من وجود هذه الأهداف .

أمَّـا حق لغتنـا علينا فهـو أن تكون رعايتهـا والحفاظ عليها وحمايتهـا مقصـدا أصليـا نصطنع له الوسـائل التـي تخدمه، ولا ننتظـر أن يجيء عرضا ثانويـا إذا عنّ لنا ودعانا لبَّيناه، ثم سرنا في طريق وسار هو في طريق.

وإلا كيـف تكـون اللغـة الثانيـة – كالإنجليزيـة مثـلاً – لها حصـص خاصـة للمحادثـة والتدريـب عليها، ولهـا درجاتها في الاختبـارات بينـما تحرم اللغـة العربية مـن هذا الـدرس الحيوي المثمـر، ألا يدعونـا ذلـك إلى التفكـير في اسـتدراك هـذه الفائدة لتعويـض هذا النقـص ؟ وإذا كنا نتحدث دائماً عـن أهمية تطوير لغتنـا لتواكـب المسـتجدات أفلا يكون من وسـائل هـذا التطور أن نعـوِّد أبناءنا على المحادثة بالعربية لتكون لهم مشـاركة في هذا التطوير، فإن لم يمكنهم ذلك في حاضرهم كانت دروس المحادثة بالعربيـة مهيئة لهـم أن يكونوا كذلك في المسـتقبل، ولا سـيما أن الاسـتعمال للكلمات يفرض نفسه بحكم الواقع كما الشأن في كل الأمور التي يكون للواقع فيها الأثر الأكبر .

وأظهر ما يبرهن على أهمية هذا الأمر هو أن المجامع اللغوية أعدت معاجم بأسماء لمسميات جديدة، ولكنها أُهملت في الاستعمال فقلَّما يستعملها المتكلم والكاتب حتى في الكتب والمؤلفات، وكذلك المعاجم التي أعدها أفراد واعتُمِدَت رسمياً قد وقع فيها مثل هذا.

ونستفيد من تلك الدروس المخصصة للمادة مساهمة في إدخال لغتنا العربية إلى واقع حياتنا العلمية والثقافية.

وفي هذا الحوار الإعلامي فائدة ذات أهمية كبرى في مجال العمل لحماية لغتنا العربية وإعادتها إلى موقعها الطبيعي أو الذي حقه أن يكون طبيعياً، فالاعتماد في الاستعمال على اللغة السهلة أي ذات المفردات الفصحى المتداولة في أكثر لهجاتنا المحلية والمركبة بالأساليب الصحيحة، الاعتماد على هذه اللغة السهلة هو أنجح ما يمكن في تعويد الناس صغاراً وكباراً على الكلام بالعربية الفصحى .

وليس هذا النهج إضعافا للغة العربية لأنه ليس إلغاء للأساليب الأخرى بل هو مخاطبة الناس بما يألفون من المفردات والأساليب، وهذا ميزان الكلمات العربية الفصيحة حيث قال علماء البلاغة إن علامة كون الكلمة فصيحة هي أن تكون أكثر تداولا بين الفصحاء، وكذا يقال في أساليب التركيب، والفصيح يخاطب الناس بما يفهمون، فالاعتماد على اللغة السهلة في الكتابة والترجمة يقوم على موازين الفصاحة التي اعتمدها علماء البلاغة، وتلك هي الوسيلة الأنفع في خدمة لغتنا العربية.

(٨) بهذا يحب الناسُ العربيةَ

ما الذي يُحبِّب العربية الفصحى إلى الناس؟

قبل أن أجيب على هذا السؤال أُحب من القارئ ألا يعجل بالإنكار قبل أن يعرف ماذا أعني، وكان عليّ أن آتيه ابتداء بالجواب واضحا غيرَ غامض، لكني آثرتُ هذا السؤال الغامض وتعقيبه بما يفسره لأبين كيف أن فهم الاصطلاحات بغير حقيقتها قد ساد، وأن سيادته هذه جنت على العلم .

وللإجابة على السؤال (ما الذي يحبب العربية الفصحى إلى النَّاس؟) أقول: « الخطاب البليغ » هو الذي يحببها إلى الناس ويحبب إليهم سماعها وتعلمّ التحدث بها .

وسينكر هذا القول كل من يظن أن الخطاب البليغ هو التقعر وحشد غرائب الألفاظ والتراكيب الغامضة، ويقول: إنّ الخطاب البليغ هو الذي يُنفِّر النَّاسَ من العربية الفصحى ويُبغضها إليهم، أمَّا الذي يَعلم أنَّ البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويفهم من ذلك أن البلاغة هي أن تخاطبَ كل فئة بما تفهمه كل الفهم، وتميل إليه قلوبُها كل الميل، بألفاظ مألوفة، وتراكيب واضحة مأنوسة، وأفكار مضيئة، فهذا يُقِرُّ أتمَّ الإقرار بأن الخطاب البليغ يحبب العربية الفصحى إلى النَّاس.

وقد حَكَوْا قديما أن رواةَ الشعر ونقاده جاؤوا يوماً إلى الشاعر بشَّار بن بُرْد وبلغهم أنه قال في جاريته شعراً في غير المستوى العظيم المعهود من شعره، حيث قالت له: قد ملأت بشعرك الدُّنيا، وقلت الشِّعْر في كل أحد، ولم تقل فيّ كلمة واحدة وأنا أخدمك وأقوم على راحتك ليلي ونهاري، فقال لها:

ربــابــة ربــة البيــت   تصب الخـلّ في الزيت
لهــا عــشرُ دجاجـات   وديك حسن الصوت

فقـال له بعض أولئك الرواة والنقاد: أين هذا من شـعرك؟ فقـال: إنَّ هـذا أفضـلُ عندها مـن (قفا نبـك من ذكـرى حبيب ومنزل).

وبشَّـار نفسُـه هو الذي جـاءه بعـضُ علـماء الأدب والنقد والعربيـة فقالـوا لـه: بلغَنـا أنّـك قلتَ قصيـدة أكثـرتَ فيها من الغريب.

قـال: نعم، إنما قلتُها لِسَـلْم بـن قتيبة، وهو يزعـم أنه بصير بغريب اللغة، فأحببتُ أن أسمعه فيها ما لا يعلم .

وفي هذه القصيدة قال بشار:

بكّـرا صاحبـيّ قبـل الهجـير
إنَّ ذاك النجـاح في التبكـير

فقال له أحدهم: لو أنك قلت بدل (إن ذاك النجاح في التبكير): (بكِّرا فالنجاح في التبكير). قال: إني قلت ذلك لأني نظمتها أعرابية وحشية على طريقة الأعراب البدويين، ولو قلت (فالنجاح) لكان مخالفاً لمنهج القصيدة، ولا يشبه كلام الأعراب.

فبشّار في هذين الخبرين ينبه على الأسلوب الذي يصلح لخطاب البسطاء كخادمته، والأسلوب الذي يتكلم به كبار الشعراء فيرسلون أنفسهم على سجيتها في اختيار الألفاظ والتراكيب وروائع الصور، وعلى الأسلوب الذي يخاطَب به الأعراب البدويون، والأسلوب الذي يخاطَب به الحَضَرُ المنعَّمون.

ورعاية هذه الأحوال هي التي سيَّرت شعر بشّار وأشباهه بين النَّاس على امتداد العصور.

وواجبنا اليوم سواء كان أحدنا شاعراً أو كاتباً أو محاضراً أن نقدّر المستوى الذي يطيقه ويحبه مَن نخاطبهم حتى يتقبلوا

ما نقول، ويفضلوه على اللغة العامية المحلية أياً كانت، فشعوبنا العربية ما زالت تجلّ الفصحى وتحبها وتحترمها وتأنس بسماعها شريطة أن تفهم ما تسمع منها، ولا ينفر منها بلا سبب إلا أولئك الذين سمّمت عقولهم الدعايات ضد العربية وأهلها، أو أشربت قلوبهم العصبية للهجتهم المحلية الخاصة، ولم تعد قلوبهم تحس بأهمية الحفاظ على وحدة الأمة العربية وعلى التراث العربي الذي كتب بالفصحى.

ومجتمع الإمارات الذي يضم فئات كثيرة من كل البلدان العربية أحوج ما يكون حين نحاضر فيه أو نكتب وننظم الشعر إلى العربية الفصحى، كي تمتزج فيه ألوان الطيف كلها فتشكل لون العربية الموحّد صورة ومعنى.

حين يكتب أحدُنا أو ينظم أو يحاضر لا بد له من أن يختار أقرب المفردات وأقرب التركيبات وأقرب أساليب عرض الأفكار بالعربية الفصحى، وهذا يحبب العربية وسماعها والتحدث بها إلى كل عربي تجري في عروقه الدماء العربية.

وآخـر محاضرة ألقيتهـا في الدعوة إلى العربية كانت بين طلبة في آخـر سـنوات الابتدائيـة تـتراوح أعمارهم بين عشر سـنوات وخمـس عشرة سـنة، قدمتهـا بالفصحـى، وكان التجـاوب فيها كبـيرا، وناقشـني أولئـك الصغـار دون أن أشـعر أو يشـعروا بالفـوارق اللغوية، ولا بصعوبة الفكرة والأدلة التي قدمتها لهم، وكانـوا يحاولـون أن يسـتعملوا في محاوراتهم معـي اللغة العربية الفصحـى رغم أنهم لم يعتادوا ذلك بدافـع مجاراة المحاضر الذي يكلمهـم. وهذا يرجع فيـما أرى إلى تقدير حالهم، أي مسـتواهم الفكري واللغوي بدقة، ومخاطبتهم بما يناسـب هذا المسـتوى أي بمطابقة الكلام لما يقتضيه حالهم، وبنحو هذا يحب الناسُ العربية الفصحى.

ولا ينبغي لنا أن ننسـى نهج القرآن الكريم ـ وهو أبلغ كلام عربي ـ كان يراعي مستوى الإدراك عند المخاطب فيما لا يناسب عصره، وقد نبه علماء البلاغة إلى ذلك وسَمَّوه الأسلوب الحكيم،

وضربوا له مثلاً بقول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[1]، قالوا: سأل الصحابة نبي الله ﷺ: ما بال الهلال يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر إلى أن ينمحق ؟ كأنهم يريدون أن يعرفوا السبب الكوني الذي يجعل الهلال كذلك، فجاء الجواب بذكر فائدة ذلك، أي نبههم إلى أن الجدير بهم هو السؤال عن هذا لا عن ذاك، لأن العصر لم يكن أهله قد استعدوا لاستقبال المعلومات الكونية، وربما شغلهم ذلك عما هو مُهمّ في مرحلة بناء الأمة، ولأن ما سألوا عنه يمكن أن يعرفوه بواسطة دراسة الظواهر الكونية، فأرشدهم الله إلى أن الأوْلى بهم أن يسألوا عن حكمة الله ونفع العباد في ظاهرة تغير الهلال.

وكذلك كان نهج القرآن في رعاية المعرفة اللغوية حيث إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقرئ أمته القرآن على حرف واحد، أي على لهجة لغوية واحدة، فقال ﷺ: « **أسأل الله معافاته ومغفرته،**

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٩ .

إنَّ أمتي لا تطيق ذلك »[1]. إلى أن أذن له – سبحانه – أن يقرئهم القرآن على سبعة أحرف . وكيفية اختلاف هذه الأحرف تدلنا على أن المقصود منها هو تيسير الفهم باختلاف بعض المفردات على وجوه يقرأ كلٌّ ما هو أقرب إلى لهجة قومه، نحو: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾[2]، وفي قراءة (ننشرها)، أو باختلاف الأساليب نحو: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ ﴾[3]، وفي قراءة (فناداها مَن تحتها). وبذلك تحقق التيسير الذي طلبه النبي ﷺ وعلله بقوله: إنَّ أمتي لا تطيق ذلك.

وقد كان النبي ﷺ أولَ المقتدين بكتاب الله في هذا الأمر حيث كان يخاطب كل قوم بلغتهم أي يخاطب كل قبيلة من العرب بلهجتها، ومن أشهر ذلك ما جاء عنه ﷺ حين خاطبه قوم من أهل اليمن لهجتُهم قلْبُ (الـ) إلى (ام) فسألوه: « هل من

---

(١) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، حديث رقم (٩٣٩).
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩ .
(٣) سورة مريم: الآية ٢٤ .

امْـبر امْصيام في امْسـفر » يعنون: هل من البر الصيام في السـفر؟ فأجابهم بلهجتهم ؟: « **ليس من امْبر امْصيام في امسفر** »[1].

وحين يراعي المتحدث هذين الجانبين في مستوى المخاطبين فكريـاً ولغوياً يسـهل عليهـم فهم ما يقـول ويهتمون بـما يقول، ويحبون اللغة التي يفهمون ما تقول.

والحمـد لله رب العالمـين، وصَـلَّى الله على سـيِّدنا محمد وآله وصحبه وسَلَّم.

(١) سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله ﷺ .

(٩) اللغة العربية .. هل هي صعبة؟

هل العربية لغة صعبة؟

دراسة العربية ـ كأي دراسة أخرى ـ لا بد فيها من بذل الجهد ومن القراءة المتأنية، وليس هناك علم ـ أي علم كان ـ يَبْذُلُ نفسَه لمـن يريد دون بذل جهـد، ودون صبر على تحصيله، ودون أناة في تفهمه، ودون رغبة في تحرك القلب والذهن والخيال نحوه.

والقول بأن تعلم اللغة العربية عسير لأنها لغة صعبة هو قول مبنـي على رغبة ضعيفة، فيهـا إرادة غير قادرة على تحريك القلب والذهـن والخيال، وليس هناك لغـة ذات قيمة علمية وأدبية تأتي إلى طالبها في الأحلام فيسـتيقظ وهو عالم بها، أو تأتيه وهو يتسلى في متابعة التلفاز، أو يلعب الكرة !

بل إنَّ اللعب بالكرة – وهو لعب – يحتاج إلى خبرة بقوانينه، ومثابرة على التدريب فيه حتى يتقنه من يريده، ويتقدم فيه بالممارسة.

ولنأخذ مثالاً على ذلك من بين اللغات: الإنجليزية، هل يتعلمها الناس بسهولة؟ الواقع يقول: لا، فأكثر طلبة المدارس ضعفاء في الإنجليزية، وقد وصل الضعف بالطلبة في بعض البلاد إلى درجة أن الكليات التي تدرس طلابها جميع المواد بالإنجليزية، قد احتاجت إلى تكليفهم بعمل دورات مكثفة في الإنجليزية قبل بدء الدراسة، وذلك رغم أنهم من الناحية القانونية متهيئون، قد حصلوا الدرجات المطلوبة في النجاح المؤهل لهذه الكليات، بل يسير كثير من الطلبة في هذه الكليات بعد ذلك وهم يخطئون في الكتابة والقراءة بالإنجليزية، وهذا واقعٌ يعرفه مدرسو الكليات.

هذا كلام قد يجيب عليه بعض الناس بأن هذا وضع الطلاب الضعفاء لا المجدين المجتهدين، فنقول لهم: نعم، إذن

أنتـم توافقون على أنه لا يتعلم المرء أي لغة إلا بالجد والاجتهاد، وكذلـك العربيـة لا ينجـح في تعلمهـا إلا مـن بذل جهـداً كافياً لتعلمها، فالذين يشـكون من صعوبة العربية لا يبذلون لها جهداً كافياً، كما أن الذين يشـكون من صعوبة الإنجليزية لا يبذلون لها جهداً كافياً، وأعيد هنا التأكيد على ما كررته مراراً، وهو أن دعوتنا إلى العربية لا تعني إهمال الإنجليزية أو غيرها من اللغات العالمية، بـل تعنـي إعطـاء العربية ما ينبغـي لها من الجهـد والاهتمام حتى لا نضيِّعها فنضيِّعَ تراثنا، وننقطع عنه وعن تاريخنا وثقافتنا.

ولو تأملنا السـبب الأكبر في صعوبة الإنجليزية لوجدناه في قواعد إملائها لا في قواعد نحوها، فالكلمتان تُقرآن قراءة واحدة ولكنهـما تكتبـان كتابـة مختلفـة، والذي جعـل اللغـة الإنجليزية كذلك هو رغبة أهلها وحرصهم على التواصل مع التراث الثقافي والأدبي والتاريخـي لأمتهـم ؛ لأن تغيـير قواعد الإمـلاء القديمة بحيث تلفظ اللغة كما تكتب يؤدي إلى أن لا يُفهم معناها.

فلـو أن كلمـة (white) التـي تعنـي اللـون الأبيـض قرأها

الإنسـان كما كتبها لقرأها هكذا (وهيتـي) وهو لا يعرف أن هذا اللفـظ موضوع للـون الأبيض، وإنما اللون الأبيـض يلفظ عنده هكـذا (وايْـت) فعلـماء اللغـة الإنجليزيـة حافظوا عـلى الكتابة القديمـة ونطقوهـا بطريقة النطـق الحديثة ليبقى أبنـاء اللغة على صلة بتراثهـم، ينطقون الكلمات بطريقة تخالـف طريقة القدماء، ويكتبونهـا بطريقـة توافـق طريقتهـم، ويفهمـون المعنـى بطريقة توافقهم أيضاً.

وكثـيراً مـا وجدناهم هـم أو من يدرسـون بلغتهم يقولون إن هاتين الكلمتين مثلاً تنطقان بشـكل واحد، ولكن هذه تكتب عـلى هذا الوجه، وهذه تكتب عـلى هذا الوجه، فيحفظ الدارس الكتابة ويحفظ القراءة كلا منهما وحده حتى يتجنب الخطأ في هذه أو هذه، ومن أجل هذا أيضا كانت قواعد كتابة الإنجليزية غالبية كما أن قواعد اللفظ غالبية .

ويتحمل الإنجليزيون المشـقة في ذلك ليحافظوا على الصلة بتراثهم، ويتحمل هذه المشقة أيضاً كل من يدرس بلغتهم، ورغم

ذلك كله فإن اللغة الإنجليزية هي اللغة الأكثر انتشـارا في العالم، لا لأنهـا أفضل لغات العالم بـل لأن أهلها بذلوا الجهود الهائلة في سـبيل نشرها عن طريق نشر ثقافتهم وسيطرة اقتصادهم وقوتهم العسكرية التي جعلتهم في وقت من الأوقات الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، وبهذا الاستعمار نشروا لغتهم وثقافتهم، وكانوا في كل بلد يحتلونه يجعلون لغتهم هي اللغة الرسمية بحيث يكتب بها كل شيء رسمي، ويرفض إذا كتب بلغة البلد الأصلية أي التي هي تحت حكم الاستعمار.

بل هـم يتابعون نشر لغتهـم وثقافتهم فيها بعد الاسـتقلال تحت شعار رابطة الدول الناطقة بالإنجليزية، ويتابع الناس تعلم الإنجليزية مع تحمل المشـقة التي سبق ذكرها، ويبذلون جهدهم في سـبيل التغلب على تلك المشـقة لأنها لغة عالمية تخدمهم في كل مكان من بلاد العالم شرقه وغربه .

ولكن على كل عربي أن يسـأل نفسه: أليس الحفاظ على لغته في داخل بلاده جديرا بمثل ذلك الجهد؟ أليس الحفاظ على صلته

بتراثـه وتاريخه وبلدان وطنه الممتد مـا بين المحيط والخليج أليس الحفـاظ على ذلك جديرا بمثل ذلك الجهد؟ أم أن المهم عندنا هو غيرُ وطننا وغيرُ تراثنا وغيرُ بلادنا؟

وأمَّا صعوبة اللغة العربية فليسـت صعوبـة حقيقية إنما هي صعوبـة آتيـة من الدعاية المضـادة التي تقـول إن العربية أصعب اللغات وأكثرها مفردات وقواعد نحوية وصرفية !

وهـذه كلمات حق يراد بها باطل، فالصعوبة في اللغة العربية تواجه من يريد أن يتعمق فيها، أمّا المقدار الأسـاسي الذي يحتاج إليـه من يريـد القراءة السـليمة والنطق السـليم فليس بكثير ولا عسـير، وهذا المقـدار المطلوب يخف تحمله في قلـوب أبنائها وفي ربوع أرضها وفي العالم كله أيضا بسـبب ندرة الشـواذ، بخلاف الإنجليزية الكثيرة الشواذ في صرفها ونحوها، وأنا لا أريد الحط مـن شـأن اللغـة الإنجليزية، ولكـن أريـد أن نـوازن بينها وبين العربية موازنة عادلة، وأن لا تشـغلنا عالمية الإنجليزية عن أهمية العربيـة ومميزاتها، فالإنجليزية أصبحت لغة عالمية بجهود أهلها،

وقد كانت العربية اللغة العالمية الأولى حين خدمها أهلها الخدمة التي تستحقها دون أن يقهروا النّاس عليها، ثم تراجعت بسبب إهمال أهلها، وكيف يمكن أن تصبح العربية لغة عالمية وأبناؤها يتوجهون إلى غيرها بالاهتمام والتعظيم؟ ولنذكر أن البلاد العربية في إثر حرب رمضان - أكتوبر ١٩٧٣م - أمكنها أن تدخل اللغة العربية بقوة مواقفها إلى هيئة الأمم المتحدة، فالدعم القوي يرفع اللغة، والإهمال يضيِّعها.

إنَّ المسلم يعتز بالعربية ويحبها لأنها لغة دينه وكتابه الأقدس، والعربي غير المسلم يعتز بها لأنها الشريان الواصل بينه وبين كل عربي، والاجتهاد في رفعتها واجب الجميع.

اللهم ارفع لغة القرآن وألهم أهلها أن يجندوا همتهم في سبيل رفعتها.

(١٠) وهم تعقيد اللغة العربية

الضعف في معرفة قواعد اللغة العربية لم يكن موجودا عند أي مثقف في أجيالنا قبل التعليم الحديث الذي بدأ على وجه التقريب منذ بداية عهود التعليم الرسمي تحت ظل الاستعمار.

وكان المفروض فينا أن ننهي هذه المشكلة بعد جلاء الاستعمار عن بلادنا، ولكن الذي حصل هو عكس هذا المفروض، فالمشكلة تتفاقم يوما بعد يوم وعاما بعد عام، وتكاد تستعصي على الحل، ويأس الساعون إلى الإصلاح.

ولا شك أن لهذه المشكلة أسبابا متعددة جديرة أن يُتعمَّق في بحثها، وتُبذَل الجهود لمعرفة أسبابها، ووضع الحلول موضع العمل الجاد المتواصل.

ولا أريد أن ألقي المسؤولية على عاتق جهة دون أخرى بل أريد أن أتناول تقصيرنا جميعاً - معشر العرب - تقصيرنا الذي أسهم في تفاقم هذا المرض الوبيل وهو تقصير ذو جوانب متعددة كل منها مهم، وأهمها من الجهة المباشرة هو القول بأن النحو العربي معقد وواسع، فيقدم الطالب على دراسته الإلزامية إقدام اليائس من تعلمه، ثم يأتي منهج التعليم السائد الذي يقطع المعلومات ويباعد بينها عند التعليم بأطول المسافات، فتقسم هذه المعلومات الأساسية اليسيرة على عدة سنوات، ويقترن هذا التقطيع بإهمال التطبيق العملي. ويتبع ذلك تجاوز المراحل الدراسية الرسمية بلا تحصيل مع المحافظة على كثرة درجات الرحمة القاتلة .

وقد تناولت في مقالة سابقة [1] ضرورة الجانب التطبيقي ومتابعته ومتابعة الطالب، ولكن هذا التطبيق لا بد أن يقوم على نهج سليم في تعليم القواعد قبل التطبيق وهو إعطاء الطالب القدر الأساسي من قواعد النحو على أن يكون ذلك متتابعاً

---

(١) (رقم ٦): لغتنا الغريبة القريبة، ص (٤٧).

لا متقطعاً، ويكون معه التطبيق مستمراً يشمل الدروس الماضية كما يشمل الدرس الجديد، ومن أجل ذلك كان درس اللغة العربية يومياً وكان درس القراءة - يسميه بعضهم اليوم المطالعة - وكانت الغاية الأساسية لهذا الدرس أن يتعلم الطالب كيف ينضبط لسانه بالقواعد فيقرأ قراءة صحيحة واعية متفهمة.

وهذا الانضباط اللساني في غاية الأهمية لا لأجل النطق الصحيح فقط، فالنطق جانب شكلي، وإنما المراد معرفة معنى الكلام بواسطة الحركات المنطوقة كما يعرف الفاعل من المفعول في الأمثلة التي تقدم ذكرها [1]، ولو كانت المسألة محصورة في (ضرب المعلم الطالب) ونحوها لكانت مسألة بسيطة، ولكن هناك جملا كثيرة يكون الخلط فيها بين الفاعل والمفعول مُفْسِداً إفساداً بالغاً خطراً كما تقَدَّم في بعض المقالات السابقة[2] عن إعراب قول الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ﴾[3].

---

(١) المقالة الثانية، ص (١٨).
(٢) المرجع السابق .
(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٤ .

والقراءة التي ينضبط بها اللسان على موافقة القواعد تعني رسوخ هذه القواعد في العقل، وحسن إدراك المعاني المترتبة على القواعد، وهذه هي الثمرة المقصودة من تعلم القواعد.

والعقدة الأساسية الأولى التي سببت ترك العربية عند مَن تركها هي اعتقادهم بلا مبرر أنها لغة كثيرة قواعدها، ومعقدة يصعب فهمها.

وإنْ كان لهذا القول شيء من التبرير فهو اختلاط القدر الأساسي والقدر الزائد عليه، فالقدر الأساسي ما هو إلا صفحات يسيرة وصغيرة إذا أعطيت حقها من العناية سهل تعلمها وتطبيقها. وهذا هو الذي يحتاجه الدارس الجديد، وهو الذي لا يستغني عنه الطالب إطلاقا، أما التوسع فليس ضروريا حتى يتعلل به من يهمل دراسة لغته ولغة أمته وثقافتها، وهذا التوسع يهم مَنْ يحتاجون إليه في دراسة الأدب وعلومه أو

الشريعة الإسلامية وعلومها ونحو ذلك من التعمق في إدراك معاني العبارات، وهو مما تمدح به هذه اللغة وعلماؤها لأن ذلك هو الذي يفتح للقارئ جوانب إدراك المعاني المقصودة من الكلام.

وتقديم المقدار الأساسي يعني إذا تحدثنا مثلا عن الفعل الماضي ألا نزيد على تعريفه وعلامته وأحواله دون زيادة على ذلك.

فنقول: «الماضي هو ما دلَّ على حصول عمل قبل زمن التكلم» وعلامته أن يقبل اتصال تاء التأنيث الساكنة في آخره كما نقول: ذهب ذهبت.

وحالات آخره ثلاث:

الأولى: أن يكون مبنياً على الفتح دائماً مثل: ذهب. إلا في الحالتين التاليتين.

الثانيـة: أن يكـون مبنيـاً على الضـم إذا اتصلـت بآخره واو الجماعة مثل: ذهبوا .

الثالثـة: أن يكـون مبنيـاً عـلى السـكون إذا اتصلـت بـه تاء الفاعـل، نحو: « ذهبْتُ »، أو « نـا » الفاعلين نحو: « ذهبْنا »، أو نون النسوة، نحو: «النساء ذهبْن».

هـذا هـو المقـدار الأسـاسي الـذي لا ينبغـي تجـاوزه عنـد تعليـم المبتدئ صغـيراً كان أو كبيراً، بل يمكن أن يقسـم هذا إلى درسين:

أحدهما: تعريفه وعلامته.

والثاني: حالاته.

والمهم دائماً استمرار التدريب على التطبيقات لكل ما يؤخذ وكل ما مضى بحيث يستمر استحضار القواعد عند تطبيقها.

وبذلك تتلاشى فكرة طول القواعد النحوية وفكرة صعوبتها وتعقيدها، واستمرار التطبيق يسهل ثبوت الفهم السديد للقواعد، وبهما معا تكون الاستفادة من القواعد حتى يجري بها اللسان دون تكلف.

وأمَّا ما زاد على المقدار الأساسي من كثرة الكلمات وكثرة تفريعاتها الاشتقاقية، وكثرة تفصيلات قواعد النحو، فهذا شيء لا تحتاجه أكثرية النّاس، إنما يحتاجه من يريد التعمق في علوم القرآن والسنة، ونصوص الشعر والأدب، وهو أمر يوجد في كل لغة وفي كل علم، فمثلاً تقدم المدارس الإعدادية لطلابها من الرياضيات قدراً معيناً يعتبر يسيراً جداً مما يُقدَّم في الدراسة الجامعية وما فوقها مما لا يفهمه طلبة الإعدادية إطلاقاً، ولو قال قائل هذا تطويل أو تعقيد لضحك النّاس منه، فالعمق والسعة في العلوم فضيلة كبرى، وعجز الأكثرين عن ذلك قصور منهم لا تُعاب به العلوم، والعجز عن الكثير لا يدعو إلى إهمال الضروري القليل، ومن ينشرون الدعايات للغات الأخرى

فلينظـروا إلى الإنجليزيـة وهـي أكثـر اللغـات انتشـاراً اليـوم: أكثـر النّاس يتعلمون لغـة الحديث اليومي منهـا، ويتعلمون من قواعدهـا ما يحتاجونه لذلـك فقط، وقليل منهـم يتعلمون آدابها ويتعلمون من قواعدها ما تحتاجه دراسة الأدب، فهل يستوون؟ وهل مقدار حاجتهم وجهدهم واحد؟

وأخيراً، فإنّ إزالة وهم التعقيد والطول هي خطوة في سبيل نشر العربية الفصحى، وهي مسؤولية كل عربي وكل مسلم.

(١١) كيف نحل مشكلة تعلم النحو العربي ؟

علم النحو العربي يشكل عند الكثيرين عقدة تحول بينهم وبين تعلمه، بل تحول بينهم وبين تعلم اللغة العربية إجمالا، فكم يسمع الإنسان من هؤلاء شكواهم الملحة من وضع الحركات في أواخر الكلمات كأنما يتمنون أنها لم توجد أصلا أو أن يمكنهم الاستغناء عنها ونطق الكلام بدونها.

وهذه أمنية تجسد ضخامة المشكلة، وتجسد ضرورة البحث عن حل يقضي عليها تماما ويريح القارئ والمتعلم منها، ويجعل اللغة العربية قريبة المتناول من كل عربي، وإذا عرف المشكلة إنسان عاقل عارف بالعربية فسيقول إن الحل ليس في استئصال

هـذه الحـركات الإعرابية كـما أن حل معالجة الأمـراض ليس في استئصال الأعضاء المريضة إلا عند الضرورة القصوى التي يكون البتر دافعا لضرر أشـد منه، إنما حل مشـكلة الحـركات الإعرابية هـو في معرفة أثرها على الكلام، وفي بيان سـهولة تعلمها، كما أن حل مشـاكل الأمراض هو في معرفة أهمية تلك الأعضاء المريضة وآثارهـا ومداواتهـا، وفي معرفة خطـورة اسـتئصالها عند إمكان بقائها بلا ضرر.

نعم يمكن الاسـتغناء عن الحركات الإعرابية كما هو الشأن في أكثـر اللغات الأخـرى وفي اللهجات العربيـة غير الفصيحة، حيـث إن موقـع الكلمـة في الجملة يـدل على المعنى الـذي أريد مـن تركيبها مع غيرهـا، فالفاعل في اللغـة الإنجليزية مثلا مقدم على الفعل دائما، وبذلك وحده يعرفه السـامع والقارئ فيستغني عن الحركات التي تميز الفاعل في اللغة العربية لأن موقع الفاعل في العربيـة غير ثابـت – والمقصود هنـا الفاعل مـن ناحية المعنى لا من ناحيـة الإعراب – فنقول (قام الطالب) ونقول: (الطالب

قام)، ويصير الأمر أكثر إشكالا حين يوجد المفعول به في الجملة فإنه يمكن أن توجد حالة ثالثة فنقول: (ضرب الطالبَ المعلمُ) وحينئذ تصبح ضمة الفاعل ضرورية، وفتحة المفعول كذلك ليتميز الضارب من المضروب. وكذا لو قلنا: (الطالبَ ضرب المعلم).

ولو أوجبنا أن يكون الفاعل مقدما على المفعول دائما ليكون معروفا أنه فاعل، والمفعول بعده دائما كقولنا: (المعلم ضرب الطالب) لاستغنينا كما يتمنى هؤلاء الراغبون في تسهيل اللغة ـ عن الحركات الإعرابية كالضمة والفتحة هنا.

نعم هذا ممكن لكن ما هي نتيجته؟

هذا له نتيجتان، أولاهما مُرّة والثانية أمرّ، فمن الناحية الشكلية لو افترضنا أن المعنى في هذه الحالات كلها واحد نكون قد قتلنا مرونة تركيب الجملة العربية وقضينا عليها بالجمود إذا اقتصرنا من حالات الفاعل الثلاث على واحدة فقلنا: المعلم

ضرب الطالـب. ونكون قـد فرضنا على المتكلـم حالة واحدة لا يتجاوزهـا، والمرونـة أمر يحتاج إليه الشـاعر كثـيرا للحفاظ على أوزان الشعر.

أمّا من الناحية المعنوية فالضرر أكبر وأشد مرارة لأن المعنى بـين الحالات الثلاث ليـس واحدا إلا من جهـة الإجمال، أما من جهـة التدقيـق والتفصيل فهنـاك فرق له وزنه الكبـير في اللغات الراقية هو الدلالة على الجزء الأهم من هذه الجملة، فكلما كان الجزء أهم كان تقديمه أولى كما قال سيبويه – رحمه الله تعالى –: «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم به أعنى» يعني أكثر اعتناء.

فإذا قلنا: (الطالبَ ضرب المعلم) كان المفعول به أهم أجزاء الجملة كأن وقوع الضرب على الطالب كان غير متوقع، فلما وقع كان جديـرا باهتـمام من السـامع أكثر مـن الضرب نفسـه وأكثر مـن فاعله، وحـين نقـول: (ضرب الطالبَ المعلـم) تكون أهمية المفعـول به في الجملة بعد الفعل وقبل الفاعل أي يهمنا أن نعرف المـضروب أكثر مما تهمنـا معرفة مَن ضربه، وحين نقول: (ضرب

المعلـمُ الطالبَ) يكون أهم ما في الجملة أن نعرف وقوع الضرب ثـم مـن الذي أوقعه ثم مـن الذي وقع عليه الـضرب، وهذا هو الوضع الأصلي للجملة الفعلية العربية، وكذلك الأمر في الجملة الاسـمية فحين نقول: (قائم زيد) تكون معرفة الخبر هي الأهم، وحين نقول: (زيد قائم) يكون المبتدأ هو الأهم، وهذا هو الوضع الأصلي للجملة الاسمية.

وهذه الأهمية لولا الحركات التي تميز الفاعل عن المفعول لما أمكن إبرازهـا، وحذف الحركات يضيع هذه الخصائص المعنوية فنحتـاج إلى كلام زائـد لأجل بيانها، بل يلغـي وجودها ويصيب لغتنا العربية إصابة قاتلة في جانب من أعز جوانبها، وبه نكون قد جمَّـدنـا لغتنا وحرمناها هذا الانضبـاط الدقيق في حين أن الناس تتسـابق إلى أن تجعل من لغاتها أكثر تصريفا وأكثر رحابة ومرونة وأكثر انضباطاً.

ونكون بذلك أيضاً قد قتلنا جانباً كبيراً جداً من تراثنا العربي وقطعنا صلتنا به فلا يفهمه أحد إلا من عاد إلى قواعد اللغة العربية

وفهمها جميعاً متكاملة دون تقطيع، ويكون هذا القتل لا لشيء من الغايات المهمة سوى مراعاة الرغائب النفسية في التهاون والكسل عند من يريد تيسير اللغة بحسب ظنه ليتعلمها دون جهد وهو يلهو ويلعب أو ليتعلمها وهو يغط في نوم عميق.

ولا بد أن نتذكر أن العلماء في كل جانب من جوانب المعارف الإنسانية لم يهملوا العلوم الصعبة ولا ألغوها، بل بذلوا كل نفيس لتعلمها وتقريبها وتيسيرها لمن يريدها. وإذا فهمنا هذا وجب علينا أن نبحث عن حل في كشف سهولة المقدار الأساس من النحو العربي، وهذا شيء مهم، ومن حق كل عربي أن يسأل عنه بكل صراحة وإلحاح، ولكن يسأل عنه أهلَ الاختصاص لتنفكّ هذه العقدة عند الكثيرين منا فيرجعوا إلى لغتهم التي هي هويتهم بالحب والحرص والإجلال، وعسى الله تعالى أن ييسر لي ذلك في بعض المقالات القادمة إن شاء الله تعالى.

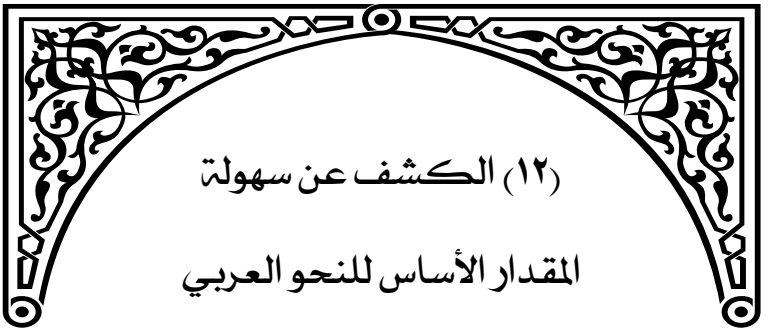

(١٢) الكشف عن سهولة
المقدار الأساس للنحو العربي

كلنـا يعلم أنه ليس في الدنيا علمٌ تسـتوي سـهولته في البدء والانتهاء منـه، وليس في الدنيا علمٌ يتعلمه الدارسُ كلَّه من بدئه إلى نهايتـه مـن أول ما يتوجـه إلى تعلمه، فكل العلوم تقسـم عند دراستها إلى مقادير تؤخذ على مراحل:

- **مرحلـة التأسـيس** التـي يأخذ فيهـا الدارس مبـادئ هذا العلم.

- ثم تأتي بعدها **مرحلة التكامل** لهذا الأساس.

- ثم **مرحلة التوسـع** التي يطلع فيها على مسـائل هذا العلم في أكـبر مقدار ممكن، وتأتي بعد ذلك مرحلـة التعمق التي يدرك

فيهـا خفايا هذا العلم، وسـبب كل قاعدة فيه أو مسـألة كبيرة أو صغيرة.

ومَـنْ هجم على مرحلة عالية دون أن يدرس ما قبلها شـعر بأنـه يغـرق في بحـر يحيط بـه، ولا يتمكن من التحـرك فيه حركة تحميه من الغرق فيقول إن النحو علم معقد.

وليتأكـد مـن يريـد تيسـير النحـو من وجـود هـذا الأمر في واقـع التعليم في كل مدارس العـالم وجامعاته، وفي العلوم كلها، وأقـرب مثـال عـلى ذلك علـم الحسـاب والرياضيـات. وقضية البدء بالأسـاس وكونه موجزا قضية سـار عليها علماؤنا القدماء واشـتهرت مجموعـة مـن الكتب في بيـان هذا المقـدار، وكان من الكتـب المتداولة إلى منتصف القرن الهجـري الثالث عشر وبعده بقليـل كتـاب صغير جدا يسـمى (متـن الآجروميـة) لا يتجاوز حجمـه إذا كُتـب بحجـم صفحـة الكتـب المتداولة حاليـاً بضع صفحات.

وأنا لا أقترح هذا الكتاب أو أي كتاب معين إنما أريد أن أبين أن هذه الفكرة كانت عند علمائنا منذ القديم، وكان صغار الطلبة في أزمانهم أكثر معرفة بالنحو من كبار طلبة اليوم. وعلينا أن نعد لطلابنا من الكتب ما يناسبهم في سنهم وفكرهم واستعدادهم حسب عصرهم.

ومسألة التطبيق الذي نلح على طلبه ويلح كل مهتم بالتعليم على طلبه كانت لها عندهم مكانة الصدارة أكثر بكثير مما نتصور، وكانت تأخذ من الوقت والاهتمام أضعافا كثيرة عما نحن عليه، فمقدار القواعد يسير ولكن مقدار التطبيق كثير جدا، وينبغي أن نستفيد من تجربة السابقين في هذا، وعلم النحو في ضرورة التطبيق كعلم التجويد في القرآن الكريم، فلا فائدة لقواعد التجويد بدون تطبيق إطلاقاً.

ونحن نقع اليوم حين تعليم المقدار الأساس من النحو في خطأ جسيم ينتج عنه ضياع ما يتعلمه الطالب، فهذا المقدار

الأساس يُعطى دائما مشتّتاً على سنوات في أكثر بلاد العرب، والنحو علم مترابط بعضه ببعض، ويتوقف بعضه على بعض، ويشبه في ذلك علم الرياضيات، فعلى سبيل المثال: أكثر الجمل العربية تشتمل على الفاعل، ومن شرط الفاعل أن يكون اسماً، وقاعدة معرفة الاسم من غيره هي من أوائل الدروس، فإذا أخذ الطالب درس الفاعل بعدما نسي - بسبب طول الفترة - درس الاسم وتعريفه وعلاماته فلا يمكن أن يعرف الفاعل ويفهم درسَه إلا بمراجعة درس الاسم من جديد، وهذا الترابط موجود لا في الفاعل وحده بل هو موجود في كل الدروس، وتعليم النحو على فترات متباعدة ـ في مرحلة تأسيسه ـ ينتج عنه هذا التشتيت الذي يضيع المعلومات، ويضيع ترابطها، ويمنع فهم ما يستجد منها.

ويأخذ الطالب درجات النجاح على الدروس الأخيرة التي أخذها دون ربط عملي بما قبلها، فيصل الأكثرون إلى مراحل التعليم المتقدمة بهذه الحالة، وتزداد الشكوى من صعوبة النحو

وتعقيـده، مع أن المشـكلة ليسـت فيه إنما المشـكلة في هـذا النهج التعليمي المشـتت للأسـاس الذي ينبني عليه فيتهـدم البناء كله، وإصـلاح ذلك ضرورة يفرضها الحـرص على العلم والترقي فيه وجني ثماره.

ومـن حق القارئ أن يسـأل: مـا هو هذا الأسـاس أو ما هو المقـدار الـذي نسـميه الأسـاس؟ نعم، هذا سـؤال حـق، وهـذا موضع بيانه:

أمّـا إجمالاً فهـو مقدار يُعرَف بـه أصلُ كلّ بـاب من أبواب النحـو بحيـث يتميز عـن غيره، ويُعـرف حكمُه أي ما تسـتحقه كلماته من رفع أو نصب أو جر أو جزم.

وأمّـا تفصيـلاً فإن تمييـز كل باب مـن أبواب النحـو يكون بتعريفـه وعلاماته، فنقول مثلا في أقسـام الكلمـة: «الفعل كلمة تدل على معنى موجود فيها مقرون بالزمان» ونشرح هذا التعريف بإيجـاز ووضوح دون تطويـل، ونذكر بعد ذلـك العلامات التي

تختص بالدخول عليه فيتميز بقبولها عن الاسم والحرف، وأهمها ما يلي:

١- **قد**: مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾[١]، وقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٢].

٢- **سوف**: نحو قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[٤].

٣- **ياء خطاب الأنثى**: نحو قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٥].

٤- **تاء التأنيث الساكنة**: مثل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾[٦].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٥ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤ .

(٣) سورة هود: الآية ٩٣ .

(٤) سورة النساء: الآية ١٥٢ .

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٣ .

(٦) سورة يوسف: الآية ١٩ .

وهـذا أيضـاً يحتـاج إلى شرح وإيضـاح دون تطويـل، ثـم يـأتي دور التطبيقـات مع تطويلٍ كثيرٍ يترسـخ به معنـى القاعدة، ويترسـخ بـه عند الطالب تمييـز الفعل عن الاسـم والحرف، فإذا جاءت دروس الإعراب التي فيها جمل فعلية سَـهُل على الطالب إعرابـه بعد معرفة كل نوع من أنواعـه أو بيان حركة البناء الثابتة في آخره. وهكذا نفعل في كل باب من الأبواب.

وقد سبق أن قلت إنَّ التباعد بين الدرس والآخر عند إعطائه للطالب - كما هو شـأن الأكثرية الساحقة من المدارس العربية - يشتت المعلومات ويضعف فائدة كل باب فيما يتعلق به من سائر الأبواب إن لم يؤدِّ إلى نسيانها وانعدام الفائدة منها أصلاً .

وقد سبق أن قلت أيضا: إن القدماء أعدّوا - حسب زمانهم - هذا الأساس في صفحات قليلة جدّاً، ويمكن إعداد منهاج شبيه بـه، مناسـب لزماننا بمقدار يقرب منـه أو يزيد قليلاً، فمن أراد بعد ذلك أن يتابع تحصيل مسـتوى آخر فوق هذا الأساس دخل عليه باستعداد كافٍ، ومن أراد الاقتصار على ما حصل عليه كان

ذلـك عونـاً له على القـراءة الصحيحـة الفصيحة، وعـلى الكلام الصحيح الفصيح بمقدار وبمسـتوى لا بأس به إذا كان قد أخذ تدريبـات كافيـة عـلى التطبيق، وهـذا المقدار في هذا المسـتوى لا صعوبة في فهمه وتطبيقاته، وليس فيه مشـكلات تدعو إلى تعقيد النظـر في النحـو العربي كله، وسـيدرك الفـرق الواضح في فهمه للكلام العربي بين من يعرف النحو - ولو بهذا المقدار - وبين من لا يعرفـه. ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]. وبذلـك يبتدئ بفهم القرآن الكريم - بما يناسب هذا المقدار - ويتحقق له شيء مما أشـار إليه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]، وصدق الله العظيم سبحانه.

(١) سورة الزمر: الآية ٩ .

(٢) سورة يوسف: الآية ٢ .

(١٣) أهمية المنهج في تعلم العربية

إتقـان اللغـة العربيـة عـماد ثقافة العـربي بل مفتاحهـا ، وما مثـل العربي الذي يريد الثقافـة العربية دون هذا المفتاح إلا كمثله حـين يريد أن يـدرس الأدب الفرنـسي أو الإنجليزي دون إتقان لغتيهما ! ولا شـك أنه بدون المفتاح يظـل على الباب، ولا يدخل البيت أبداً .

ورغـم وضوح هـذه الحقيقة مازلنا نـرى من يدرس الأدب العـربي أو علـوم الشريعـة أو غـير ذلـك مما تعتمد دراسـته على اللغـة العربية دون أن يكون لديه هـذا الإتقان الضروري ، وربما كان يحـب أن ينـال هذا الإتقان وتحول دونـه الحوائل وهي كثيرة متراكمة يزحم بعضها بعضاً .

ولا ريب أن من أهم هذه الحوائل منهج دراسة اللغة العربية، ولا أعني المناهج المدرسية والجامعية فقط بل أعني عموم منهجنا في دراسة اللغة العربية ومخالفته لمنهجنا الموروث مما نجد أثره جلياً بين الذين درسوا اللغة العربية بالمنهج القديم والذين درسوها بالمنهج الحديث.

ولا أريد بهذه الكلمات انتقاصاً ولا معابة، إنما أريد بيان سبب هذا الاختلاف أي سبب قوة الدارسين الأوائل من أهل عصرنا ، وضعف الأواخر منهم ، وإن كان هناك قلة فشلت من أولئك وأخرى نجحت من هؤلاء، وإن ما أقوله وجهة نظر أراها صواباً، والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر .

فالمنهج القديم كان يتناول دراسة اللغة بطريقة يمكن أن تسمى **طريقة التأسيس والتوسع** ، والمنهج الجديد يتناول دراسة اللغة بطريقة يمكن أن تسمى **طريقة الابتداء والتكميل**، ولتوضيح ذلك يمكن أن نأخذ دراسة النحو نموذجاً وهو يمثل قلب اللغة العربية ، كيف كان يدرس سابقاً وكيف يدرس اليوم.

ففي المنهج القديم كان طالب اللغة العربية يقرأ موجزاً فيها مختصراً كالمختصر المعروف باسم متن الآجرومية يحفظه حرفياً ويشرحه له المدرس ويضرب له الأمثلة الكثيرة ويدربه على إعرابها ونطقها نطقاً صحيحاً ، والحفظ الحرفي في هذه المرحلة ضروري لأن الطالب المبتدئ يؤسس معلوماته العربية، وليس لديه المقدرة على التعبير عما يفهمه ، وهذه المرحلة هي مرحلة التأسيس الأولى ، وفيها يأخذ الطالب أبواب النحو الأساسية كلها دون الفرعية المتممة المحتاجة إلى وعي أكبر .

ثُمَّ ينتقل الطالب من هذا الموجز الملخص إلى قراءة شرح من شروحه غير المطولة يُقرئه إياه معلمه ويوضح له غوامضه، وهذا الشرح يكون توسعاً في دراسة ما سبق أي يعيد قراءة ما سبق بطريقة أوسع فهو يراجع ما سبق ويرسخه ويضيف إليه المعلومات الجديدة الزائدة على ما مضى ، وهذه الطريقة – بلا ريب – خير مما نفعله حين نعطي الطالب المعلومات اللغوية مجزأة إلى أجزاء حسب السنين الدراسية يبتدئ بجزء في السنة

الأولى ثم يأخذ جزءاً آخر في السنة الثانية وهكذا حتى يستكمل موضوعات علم النحو وأبوابه ولا يراجع معلوماته الماضية إلا عرضاً عندما يمر بها في التدريب على التطبيقات من الموضوعات الجديدة.

وكثير من الطلبة – إن لم نقل الأكثرية الساحقة منهم – يكونون قد نسوا كثيراً من المعلومات السابقة إن لم ينسوها جميعاً، ويتكرر هذا الأمر في كل جزء من أجزاء هذا العلم في كل عام حتى إذا بدأ الطالب مرحلة التعمق في هذا العلم بدأ دون استعداد يكفي لاستيعابها، ويتفاقم القصور في هذه المرحلة أكثر لأن الحاجة إلى ذلك التذكر تزداد فيها أكثر.

وكان كتاب « **شرح قطر الندى** » لابن هشام يمثل في طريقتنا الأولى **طريقة التأسيس والتوسع** مرحلة الدخول في القلب من بناء علم النحو، يبتدئ الطالب يتعلم كيف بنيت قواعد هذا العلم وقامت على شواهده أي: الأدلة التي تبنى عليها قواعد علم النحو، وكيف اختلف العلماء في ذلك ؟ وما هو سبب

اختلافهم؟ وعلى ماذا بنى كل منهم رأيه ؟ كما يتعلم الطالب في هذه المرحلة اختلاف لغات العرب فيما يتعلق بعلم النحو كاختلافهم في كلمة « أمس » إذا أريد بها ما قبل اليوم الحاضر مباشرة - لا إذا أريد بها أي يوم مضى - هل تبنى على الكسر كما ينطقها أهل الحجاز ، أو تكون اسماً ممنوعاً من الصرف يرفع بالفتحة وينصب ويجر بالفتحة كما ينطقها بنو تميم ، وهذه مرحلة عميقة بعض العمق، متقدمة في هذا العلم - مع أن كل ما مضى مما درسه الطالب موجود فيها - فكيف يتمكن الطالب من دخولها ببضاعة مزجاة من الأساسات التي سبقت له دراستها؟!

وكتاب « شرح قطر الندى » هو كاسْمه « قطر الندى » وأول الغيث قطر ثم ينهمر كما يقول الشاعر، إذ تستمر المرحلة حتى يتناول الدارس كل مسائل النحو على هذه الطريقة الموسعة، وكل ذلك يعتمد على الأساس فكيف يقوم بناء بأساس ضعيف منقوص ؟!

على أنَّ علم النحو وغيره من علوم العربية هي كلها مفتاح

لدراسة علوم القرآن وسائر علوم الإسلام من فقه وحديث وتفسير ، والتقصير في إتقان المفاتيح يؤدي إلى دوام البقاء على الأبواب ، فأي حق علينا قد ضيعناه بإهمالنا لغتنا العربية بإهمال المنهج المجدي في دراستها تعلماً وتعليماً واستفادة ؟!

(١٤) تفصيلات صيغ الفعل في الجملة بين العربية وغيرها

في موازنـة أقـرب إلى المغالطـة وازَنَ بعض النّـاس بين لغتنا العربيـة وبـين الإنجليزيـة في تفصيـلات زمـن الفعـل أو زمـن الجملـة، ونتيجـة المغالطـة غلـط لا ريب فيـه؛ ولذا كانـت ثمرة الموازنـة أن الجملة الإنجليزية تفصيـلات الزمن فيها أكثر، ففيها الماضي البسيط وفيها الماضي المستمر وفيها الحاضر البسيط وفيها الحاضر المسـتمر وفيها المسـتقبل والمستقبل المسـتمر، وهكذا إلى آخر السلسلة من هذه الصيغ في الأفعال الإنجليزية .

بينـما صيـغ الفعـل في العربية حسـب رأيهم ثـلاث لا غير: الماضي والحاضر والمستقبل (والأمر من جملة المستقبل).

هكـذا زعمـوا، ولـو أن الإنسـان تأمـل مثـالاً واحـداً مـن الإنجليزية لتبين وجه المغالطة في هذه الموازنة .

وهو الحاضر المستمر نحو قولهم: Iam going

فهـذه الجملة (أنا أكون ذاهباً) – في ترجمتها الحرفية – مركبة من فعلين

الفعل المساعد Am + الفعل المستمر going

ولا يصـح في قواعـد الإنجليزية أن ننطق بالحاضر المسـتمر وحده دون الفعل المسـاعد: أكون. فليسـت الجملة مشتملة على فعل واحد وإنما هي مركبة من فعلين.

ولـو نظرنا في الجملة العربية المركبة عـلى وجوه التركيب في العربيـة لوجدنا أن التفصيلات في العربيـة أكثر من الإنجليزية، ولوجدنـا الإنجليزيـة مـن دون اللواحق والتركيبـات ليس فيها مـن صيغ الفعل – إذا نظرنـا إلى الصيغة في الكلمة الواحدة دون تركيـب – إلا صيغـة واحـدة هـي الحاضر البسـيط إن سـبقت الفاعـل كانت أمراً، وإن سـبقها كانت إخبـاراً عن الحاضر، بينما

لـكل من الماضي والحاضر والمسـتقبل - ومنه الأمـر - صيغة في العربية مستقلة.

ونتيجـة المقارنـة بـين الصيـغ **إجمـالاً** في لغتنا ولغتهـم **قبل التركيـب** تجعـل العربيـة أكثـر تفصيـلاً: فيهـا المـاضي والحاضر والأمر والجملة الخالية من الزمن وهي الجملة الاسمية من نحو: زيدٌ أسد .

ونتيجـة المقارنـة بـين الصيغ **تفصيـلاً وبعـد التركيب** تجعل العربية أكثر تفصيلاً أيضاً .

وذلـك أننا نقـول في العربية (يذهب) وهـي للحاضر غالباً وتحتمل المستقبل.

فـإذا أردنا أن نجعلها للمسـتقبل الخالص قلنا (سـيذهب) بتركيبها مع السين كما يفعل أهل الانجليزية العكس حين يريدون أن يجعلـوا الفعـل الحاضر البسـيط بصيغة المـاضي فيضيفون إلى الحاضر البسيط (ed) إذا لم يكن الفعل شاذاً .

وبهـذه الطريقة طريقة الدلالة التركيبية تكثر التفصيلات في العربية، فالصيغ الأصلية ثلاث: ذهب - يذهب - اذهب .

ويضاف إليها المسـتقبل الخالص فيقال: سـيذهب أو سوف يذهب .

والاستمرار في الماضي إلى الحاضر: ما زال فلان قائماً .

والاسـتمرار مـن الحـاضر إلى المسـتقبل الخالص: لـن يزال فلان قائماً .

والاستمرار في الحاضر: لا يزال فلان قائماً .

والمستقبل قبل التكلم: كان فلان سيذهب .

والمستقبل المستمر فيما مضى: كان فلان لا يزال قائماً .

والجملة المجردة من الزمان أي الاسمية: فلان أخوك .

ثُـمَّ هناك صيغ خاصة بوقت معين مـن أجزاء الزمن، فبدلاً من أن نقول: قام زيد في الصباح، نقول: أصبح زيد قائماً .

وكذلك « أضحى زيد قائماً » للضحى، و« أمسى زيد قائماً » للمساء وهو أول الليل، و«بات زيد قائماً » لبقية الليل .

فهـذه ثلاثـة عشر مـن تفصيلات الزمـن في الجملـة العربية – وهـذا ليـس إحصـاءً باسـتقصاء –، وهـذا كله إفـادة للمعاني المفصلـة في الزمـن مع الإيجـاز، وفي العربية تفصيـلات أكثر من ذلك.

ولا بـد أن يتنبه القارئ الفطـن إلى أن اللغة العربية فيها هذا التفصيل، وفيها الإجمال مع ذلك.

فنقول: ذهب فلان .

فيكـون الذهاب محتملاً لكل جزء مـن أجزاء الزمن الماضي دون تحديد: ذهاباً مستمراً أو منقطعاً، فإذا أردنا استمرار الذهاب في الماضي حتى اللحظة الحاضرة قلنا: ما زال فلان قائماً .

فإذا أردنا الاسـتمرار في الوقت الحـاضر أيضاً قلنا: لا يزال فلان قائماً .

وكذلك إذا أردنا الإجمال في المضارع قلنا: يقوم فلان. فيحتمل الحاضر والمستقبل.

فإذا أردنا التحديد بالمستقبل قلنا: سيقوم فلان. كما تقَدَّم.

وبهذا يتبين أن المقارنة الصحيحة المنصفة هي المقارنة بين صيغ الفعل وأزمانها إمّا إجمالا عندنا وعندهم، وإمَّا تفصيلاً عندنا وعندهم، وبهذا يظهر تفوق العربية وفضلها، أمّا المقارنة بين الصيغ الإجمالية عندنا، والصيغ التفصيلية عندهم، فهذا أقرب إلى المغالطة المتعمدة !

وكذلك الأمر في الأسماء فنقول في الشخص: حسن فعله بعد سوء فهو (حاسنٌ)، فإذا تكرر منه فهو (حسّان)، فإذا ثبتت فيه تلك الصفة فهو (حسن)، فهذا تفصيل أفاده لفظ واحد اختلفت صيغته وهو تفصيل مع المحافظة على الإيجاز.

أمَّا القارئ العادي فيهتم بالقدر الإجمالي من المعنى وهو اتصاف هذا الشخص بالحُسن، كما هو الشأن في كل اللغات الواسعة ذات التفصيلات الكثيرة.

وفي اللغة العربية تفصيلات دقيقة تزيد على هذه التفصيلات في الدلالـة التركيبية زيادة كثيرة يحسـبها القـارئ العادي واحدة وليسـت كذلـك، فمثلا نقـول: زيد يقـوم، ويقوم زيـد. فيكون تقديم الفاعل دالا على أنه المقصود الأهم في الجملة، وإذا قدمت الفعـل كان هو المقصود الأهم في الجملة ونسـبة الفعل مؤكدة له في الحالة الأولى دون الثانية.

وقولنـا: (زيد قائـم) يختلف معنـاه عن قولنـا: (زيد يقوم) مـن جهة التفصيل، فـ(زيد قائم) جملـة تدلُّ على اتصافه بالقيام، وملاحظة زمن القيام ليسـت مقصـوداً أصلياً على عكس الجملة الثانية، وفي الجملة الأولى لا تدل كلمة (قائم) على حركة حدوث القيام، بينما الجملة الثانية تدلُّ على ذلك.

ولكن هذا الكلام قد يثير إشكالاً فيقول مَنْ يسمعه: هذا من صعوبة اللغـة العربية التي تنفر الناس منها، وهو إشـكال وهمي لأن هذا من المقدار الزائد على الحاجة الأساسية للقارئ العادي، وليـس مطلوبـا منـه إلا إذا أراد التعمق في فهـم دقائق الكلام في العبارات الأدبية أو الدينية أو القانونية، إنما المطلوب من القارئ

العادي هو المقدار الأساسي من النحو والصرف والبلاغة، وهي مقادير يسهل فهمها وتعلمها إلَّا على مَنْ يريد أن يتعلم العربية وهو ينظر إلى التلفاز أو يلاعب من حوله كما تَقَدَّمَ في المقالة السابقة (هل العربية لغة صعبة)؟ [1] أمّا الأمم الحريصة على الرقي والتقدم والصلة بتراثها والتواصل بين بعضها فلا تبخل على تعلم لغتها بقدر من الزمن والجهد يكفي للتعلم.

ثُمَّ لماذا يكون التفصيل في أزمنة الفعل في الإنجليزية شيئا حسنا، وتفصيل معاني الأسماء في العربية تطويلا وتعقيدا في التعلم؟ أهذا هو الحق أم إن الناس تعودوا أن ينتقصوا ما عندهم ويعظموا ما عند الأمم القوية وإن كان ما عندهم هم هو الأفضل؟

والله من وراء القصد .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

(١) ص ٧١ .

(١٥) هل نُجَدِّدُ المعجم العربي؟

قبل الدخول في هذا الحديث لا بد من التنبه إلى أنه ليس كل جديد أفضل من كل قديم، فالأمة الواحدة إذا انفرطت وتفرقت لم يكن ذلك الحال الجديد أفضل من القديم المتحد. كما أن التقليد الأعمى لما عند الأمم الأخرى بدعوى التجديد ليس أفضل من الأعمال الفكرية الحية التي كانت قبل هذا التقليد، والأمم إنما تقع في هذا التقليد الأعمى حينما تبهرها المظاهر الجوفاء عند الأمم الأخرى فتغمض أبصارها عما عندها وإن كان أفضل مما عندهم. وهذا يدعونا إلى النظر في شأن المعجم العربي هل هو بحاجة إلى التجديد أو أن بقاءه على حاله أفضل لأن الطريقة المقترحة لتجديده تعطينا فائدة ضئيلة وتسلبنا فضائل جليلة على أن تلك الفائدة الضئيلة ليس لها ضرورة!

القـارئ العـادي الـذي لم يتعلم من العربية إلا مـا يرفع عنه اسـم الأميَّة بَهَرَهُ المعجم الأجنبي في سـهولة البحث عن الكلمة، لأن هـذه المعاجـم رتبـت كلماتها ترتيبـاً ألفبائياً بغـض النظر عن العلاقـة المعنويـة أو اللفظيـة بين هـذه الكلمات، وهذه السـهولة تغـري الضعفـاء في الثقافـة اللغويـة العربيـة الذيـن لا تخرجهم ثقافتهـم في الجوانب الأخـرى عن كونهم في العربية شـبه أمّيّين، كما أن أكبر علماء العربية حين لا تكون عنده ثقافة طبية لا يخرجه علمه بالعربية عن أن يكون في الطب أمّيّاً أو شبه أمّي.

هذا الترتيب السهل في المعاجم غير العربية أغرى هؤلاء كلهـم فراحـوا يطالبون علـماء العربية بأن تكـون معاجمها كتلك المعاجـم، ولم يتنبهـوا إلى الفوائـد الكبيرة التي يتسـبب بضياعها هذا الترتيبُ الجديد، وأهمها الجذر اللفظي والمعنوي الذي ترجع إليه كلّ أسرة من الأسر اللفظية التي نسميها الفصول، كما يضيع علينـا ملاحظة معنـى أوزان الكلمات، وكلاهما يـؤدِّي إلى زيادة الحاجة إلى شرح كل واحدة من الكلمات المفردة.

فالمعجم العربي يبدأ بذكر الجذر الثلاثي للفصل مثل: (كتب) ويبين لك معناه بأنه الضم والجمع، وإليه ترجع تصريفات الأفعال في هذا الفصل كله، ولا يزيد في الشرح على ذلك ما دامت كل كلمة ظاهرة العلاقة بهذا الجذر من جهة اللفظ والمعنى، فإذا كان هناك غموض في العلاقة اللفظية أو المعنوية أوضحه المعجم؛ فيذكر هذه الأفعال دون شرح زائد على ما سبق في بيان معنى الجذر نحو: (كاتب، وكتّب، وتكاتب، وانكتب، واستكتب) لأنها ترجع إلى معنى الكتابة المشهور دون غموض بناءً على ما قدمه في بداية المعجم من معاني الصيغ والأوزان.

فأنت تعرف من أول صفحات المعجم أن (كاتَبَ) على وزن فاعَلَ وهو وزن يدل على المشاركة في الفعل بين اثنين فتقول: (كاتَب الرجل أخاه) أي كل منهما كتب للآخر، وأن (كتّب) بمعنى كثّر الكتابة، واستكتب طلب الكتابة، وتكاتب للمشاركة، وانكتب طاوع الكتابة، وهذه الفائدة وتلك تفوتان إذا رتبنا المعجم ترتيبا ألفبائيا بغض النظر عن اتحاد الجذر فذكرنا (انكتب واستكتب) في باب الهمزة، وذكرنا (تَكَتَّبَ وتَكاتَبَ) في باب التاء، والباقي في باب الكاف.

ونحتاج إلى ذكر معنى الجذر ومعنى الصيغة في كل موضع، وهو أمـر يؤدي إلى التطويل، وأما حاجة كلمة (تكتّب) إلى مزيد مـن الـشرح فلبيان كيفية اشـتقاقه من ذلك الجذر، لأن فيه شـيئا مـن البعد عـن أخواته مـن الكلمات الأخـرى فيقـال: إن الضم والاجتماع هنا ليس بين الحروف ولكن بين الجنود (تكتّب الجند) إذا تجمعوا، والجماعة منهم كتيبة.

وأمّـا تسـهيل الحصول عـلى الكلمـة في الترتيـب الألفبائي اللفظـي البحت فتضيع به فائدتـان هما: ملاحظة الترابط بين كل الألفـاظ ذات الجذر المشـترك، وملاحظة المعنـى الذي تفيده كل صيغة بوزنها، وهاتان الفائدتان أهم، وضرر فوتهما أكبر من جهة فهم المعنى، ومن جهة الشرح.

والإيجاز في الشرح يتضح من هذا المثال، فبدلا من أن نقول في شرح: (صَـدوق): هو مبالغة من صادق، نحتاج إلى أن نقول: هـو الذي يتكرر منه قول الصدق. ونعيـد ذلك كلما مرّ معنا هذا

الوزن بل كلما مرّت معنا كلمة من المشتقات، بينما يكتفي المعجم العربي الأصلي ببيان معاني الأوزان منذ بدايته فيقال عن «صدوق» وزن فعول: يدل على المبالغة، فيفهم القارئ المعنى كلما تكرر ذكر هـذا الوزن في أي جذر دون حاجة إلى تكرار الشرح، ويقال مثل ذلك في جميع الكلمات.

وتلـك الصعوبـة اليسـيرة في الطريقـة العربية عنـد البحث عـن الكلمة يمكن تجاوزها بسـهولة إذا لاحـظ القارئ أن منهج المعجـم العـربي يقـوم على ملاحظة وحـدة المعنـى الأصلي الذي تربط بينه الحروف الأصلية لجذر هذه الكلمات. هذا الربط الذي حرمـت منه كثـير من اللغات مما جعل الاعتـماد لديها في معاجمها على الترتيب اللفظي البحت.

فالترتيـب العربي ضرورة لا بد منها، ولا ضرر منها، ولكن الحرمـان من هـذا الربط نقص كبـير تنزل به مكانـة اللغة وليس ميزة تدعونا إلى ترتيب معاجمنا كما رتبت معاجمهم.

فإذا قال بعض الناس وما المانع من أن نجعل بعض المعاجم على هذه الطريقة لأجل القارئ الذي لا يستطيع أن يلاحظ الحروف الأصلية وغير الأصلية والمعنى الذي تدل عليه وتتفرع عنه البقية؟

فالجواب على ذلك أن المانع هو ذلك التطويل في شرح المفردات، **التطويل** الذي لا يصبر عليه هذا النوع من القراء أشباه الأميين، **وفوت تلك الفوائد** الهامة من إيضاح المعنى، وإذا لجأنا إلى الإيجاز المخل كان في ذلك إفساد معاني الكلمات بالنقص، وكان في ذلك إفساد معنى الجملة التي جاءت فيها هذه الكلمات، وكفى بذلك دمارا للغتنا وكَلامِنا ودون مبرر.

(١٦) فصاحة النطق بالعربية

ربما كان الاهتمام بتحسين النطق ذا أهمية في لغات أخرى غير العربية، ولكن هل أصبح هذا علما مستقلا له كتبه ومعلموه ومنهاجه كما هو الحال في لغتنا العربية؟

لا ندري ولم نسمع بشيء كهذا ونظنه بعيد الحصول والله أعلم.

وربما يظن بعض الناس أنه غير موجود في لغتنا العربية لأنه لم يشتهر بالاسم المذكور في عنوان هذه المقالة، وليس هو موجوداً في كتب اللغة العربية المتداولة وإن كان بعضها ذكر هذا الجانب من العربية مفصلاً بعض التفصيل كما فعل سيبويه – رحمه الله – في كتابه.

وهناك سبب آخر لعدم التنبه إلى هذا الفرع من علوم العربية وهـو أن هذا العلم نشـأ مع تعلـم القرآن، وصاحَبَـه في تاريخـه، فعـدّه النـاس من العلوم الدينية، واشـتهر باسـم علـم التجويد، والمراد به تحسين النطق بالقرآن عند تلاوته.

والقـرآن ألفـاظ عربيـة، وقوانـين نطقـه هي قوانـين النطق بالألفاظ العربية، وقد تعلمه الناس لأجل حسن النطق بالقرآن، وغاب عن بعض الناس أنه من علوم العربية وضع لأجل القرآن كـما وضعـت العلـوم العربيـة من نحـو وصرف وبلاغـة لخدمة القـرآن الكريم من جوانـب أخرى غير جانب النطـق والتلفظ، وقد اسـتفاد كل مَنْ تعلم تجويد القرآن في حسـن النطق بالعربية سواء تنبهوا إلى أنه من علوم العربية أو لم يتنبهوا.

وهذا الذي تقَدَّم يظهر بجلاء من بداية هذا العلم وخطواته الأولى إذ عرفـوا التجويـد بأنـه: « إخراج كل حـرف من مخرجه متصفـا بصفاته » فلكل حرف من حـروف العربية موضع معين من الفـم، ولكل حرف صفته من تفخيـم وترقيق وهمس وجهر

وغير ذلك، وقد تتغير هذه الصفات عند تجاور الحروف في كلمة أو عـدة كلـمات، كما يتغير نطق النون السـاكنة بين إظهار وإدغام وإخفـاء وإقلاب حسـب الحرف الـذي يليها، وقـد لوحظ عند اكتشـاف قواعد هذا العلم أن بعض الحـروف يختلف نطقها بين قـراءة وأخرى، فاللام مثلا حرف مرقق في قراءة حفص دائما إلا في لفظ الجلالة «الله» إذا سـبقه حرف مفتوح أو مضموم فيفخم، ويرقق إذا سبقه حرف مكسور، بينما نجد اللام في بعض القراءات الأخرى تفخم في كلمة الصلاة مثلا.

والقـراءات في حقيقتهـا تختلـف نطقـاً حسـب اختـلاف اللهجـات العربيـة المتنوعة تسـهيلا لقـراءة القرآن عـلى العرب أيـام نزول الوحي على رسـول الله ﷺ، وقد طلب النبي ﷺ هذا التنـوع في طريقـة نطق الكلمات - بل في ضبطهـا أيضاً - كما هو مشـهور في رواية الحديث إذ جاءه جبريل فقال: إن ربك يأمرك أن تقـرئ أمتـك القـرآن على حـرف واحـد . فقال: « **أسـأل الله**

معافاته ومغفرته، إن أمتي لا تطيق ذلك »[1]. وفي رواية: « **منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط** »[2].

فجاء هذا التنوع تلبية لرجائه ﷺ ورحمته لأمته بتيسير تلاوة القرآن وحفظه وفهمه مما يجعل العبارة القرآنية حسنة الوقع في الأذن بجمال التلفظ، حسنة الموقع في العقل لوضوح النطق بها، وبذلك يكون فهمها أيسر، ولولاه لالتبست الكلمات مع ما يشابهها ويقاربها في النطق، فلا يُدرى المراد بها.

وكما كان التجويد مساعداً على حسن الاستماع والفهم في القرآن كان له دائما هذا الأثر الطيب في إلقاء الشعر والخطب وغير ذلك، ولكن النّاس لا يقولون للذي يحسن النطق في الخطب والشعر إنه حسن التجويد كما يقولون لقارئ القرآن، وإنما يقولون عنه إنه فصيح، وهذا الاسم يرد القضية إلى أصلها،

---

(١) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، حديث رقم (٩٣٩).
(٢) سنن الترمذي، كتاب القراءات، حديث رقم (٢٩٤٤).

فحسن النطق في الحقيقة هو فصاحة النطق، والفصاحة من علم البلاغة كما هو معلوم، والفصاحة يوصف بها الكلام ويوصف بها المتكلم، فإذا وصفوه بذلك كان قصدهم حسن نطق الحروف والكلمات وهو ما يسمى في قراءة القرآن بالتجويد.

وكان من آثار القرآن في هذا العلم تمام الانضباط في مقدار صفات الحروف، فالمدود مثلا ثلاثة مقادير: طبيعي ومتوسط وطويل، فالأول بمقدار حركتين، والثاني بمقدار أربع حركات، والثالث بمقدار ست، ومقدار تفخيم الحرف له مقاديره، وقلقلته (تحريكه وزعزعته) لها مقاديرها، وهكذا سائر الصفات وسائر ما يتعلق بنطق الحروف .

وهذا العلم حفظ للأمة نطق القرآن كما سمعه الصحابة من النبي ﷺ، وحفظ للأمة نطق كل الكلام العربي على الوجه الذي كان عليه في عصر نزول القرآن الكريم، وهو أزهى عصور اكتمال اللغة العربية، ولم يصبها ما أصاب اللهجات العربية غير الفصيحة مما يراه العربي اليوم في شتى بلاد العرب وشعوبها،

ولا ريب أن للخلاف الواقع في النطق بغير الفصحى أثرا في التقليل من فهم العربي كلام أخيه العربي في غير بلده، وإذا تكلما بالفصحى ازداد كل منهما فهما لكلام الآخر بفضل طريقة النطق بالفصحى، وهذا أحد مقومات الإخاء والوحدة.

(١٧) أهمية اللغة العربية
في مؤهِّلات الإدارات العلمية

التقدم في كل البلاد وفي كل المجالات لا يقوم إلا على إعادة النظر، والمراجعة، وتصحيح ما يحتاج إلى التصحيح، وتجديد ما يمكن فيه التجديد، وتغذيته بكل ما يفيد.

هكذا كان تقدم العلوم وتقدم الصناعات والإدارات والسياسات، وهكذا كان رقي الدول والأمم. وعمدة ذلك كله وأساسه العلم والدراسات والمدارس والجامعات لأنها هي التي تهيئ الذين يقودون الإدارات والأعمال والمناصب، فإذا كان في جهات العلم والدراسة نقصٌ أصاب النقصُ الإداراتِ والأعمالَ والمناصبَ.

وقد كانت خطوةً طيبةً على طريق الرقي والتقدم ما قامت به جهات المسؤولية العلمية في بعض البلاد العربية من إعادة النظر في شأن إدارات المدارس، وما يمكن أن يكون فيها من نقص في المؤهلات العلمية.

وقد دار جدل كثير حول ما نتج عن هذه المراجعة من عزل بعض المديرين لضعفهم في الإنجليزية، فرأى بعض أهل الرأي في الثقافة أن يكون تطبيق القرار على المديرين المستجدين دون القدامى لا سيما مَن طالت مدته في إدارة المدارس، ورأى آخرون أن يُعطوا الفرصة الكافية لاستكمال مؤهلاتهم بدورات يتابعونها من تلقاء أنفسهم، أو أن تقدم لهم جهات المسؤولية العلمية هذه الدورات مع استمرارهم في عملهم.

وهذه الملاحظات والآراء تنظر إلى القرار من جانبه التطبيقي كيف يكون وكيف ينبغي أن يكون. إلا أن فكرة القرار في نفسها لم تنتقد وهذا يدل على إقرار الجميع لها وموافقتهم عليها، وإذن فهي خطوة مباركة نرجو أن تستمر وأن تتسع دون إضرار بأحد .

وأهم ما نرجو من توسعها أن تشمل اللغة العربية الفصحى فيحاسَب المدير على تقصيره فيها كما يحاسب على تقصيره في الثقافة الإدارية واللغات التي تصله بالثقافة العالمية، فإنه ليس من المعقول أن يكون مسؤول في جهة علمية يريد الانفتاح على ثقافات العالم إلا ثقافة أمته، ولغة أمته، فمن المستحيل أن يأخذ مكان التوجيه والقيادة العلمية الثقافية في أمته بمعلومات سطحية في ثقافتها ! بل إن من يريد أن يفيد أمته بما يطلع عليه من ثقافات أخرى لا يمكن أن يتم نجاحه وتميزه في عمله في الإفادة من الثقافات الأخرى إلا إذا حوّله إلى لغة أمته وجعله جزءا من ثقافتها بأن يكون الأخذ من الثقافات الأخرى أخذا علميا تتداخل فيه عقلية الآخذ وفهمه وخصوصيته في تقديم المعلومات إلى أمته، وهذا ما فعلته الأمم الأوربية حين اتصلت بالثقافة العربية وعلومها، وهو نفسه ما فعله العلماء العرب حين اتصلوا بثقافات الأمم الأخرى القديمة .

فعلى سبيل المثال كان كتاب القانون في الطب لابن سينا يقرؤه كبار أطبائهم الذين تعلموا العربية فلما أرادوا أن يستفيد منه كل طبيب ـ سواء كان يعرف العربية أولا يعرفها ـ ترجموه إلى لغتهم ثم شرحوه بلغتهم، وتداولوا هذه الشروح وراجعوها وأضافوا إليها، واعتمدوا عليها في التأليف إلى أن استغنوا عن الكتاب، واستبدلوه بما كتبوه هم بأيديهم وإنتاج عقولهم.

وحين ترجم العرب الثقافة اليونانية فعلوا مثل ذلك، وكان لعلم المنطق والفلسفة أثر كبير في الثقافة العربية، ولكن لم يقتصر العرب المسلمون على الترجمة والنقل، بل نظروا فيما ترجموا من المنطق والفلسفة، وناقشوه، ودارت حوله معارك، وقصة الغزالي في كتابيه مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة مشهورة جدا.

بل إنَّ المعتزلة الذين كان تأثرهم بما ترجم عن اليونانية أكبر لا يجد الإنسان حين يراجع كتبهم التي تلت عصر الترجمة شيئا من المنهج اليوناني في الفلسفة، فإذا قرأ المرء ما كتبه الزمخشري

مثلاً لم يشعر بأي صلة بين ما يقرؤه وبين المنهج الفلسفي اليوناني وأساليبه.

إنَّ النجاح التام المتميز للإداري في مواقع العلم والثقافة يكون بإعداد الطلبة والدارسين ليكونوا في المستوى الراقي في تقدم وطنهم وأمتهم، وأول خطواته أن يكون من المتقنين للغة العربية والثقافة العربية، وكل علم لا يدخل لغتنا وثقافتنا يكون بيننا وبينه حجاب غليظ، وهو معرض للانقطاع والبعد والزوال.

إن هويتنا الوطنية وهويتنا العربية وهويتنا الإسلامية لا يكون لها وجود بدون لغتنا العربية، فهذه اللغة مكانها في هويتنا مكان الرأس من الجسد، والثقافة التي ليست بلغتنا لا يمكن أن ينتشر عبيرها في وطننا، وهل يمكن أن نكون عربا بدون لغتنا العربية؟

ومن حق هذه اللغة علينا أن تنال من العناية بقدر أهميتها في

هويتنا الوطنية وهويتنا العربية، وهويتنا الإسلامية، وأن تنال من إعادة النظر والمراجعة فيمن يدير شؤونها: هل يحب لغته؟

وهل يتقن لغته؟

وهل يحسن القيام بحقوق لغته؟

(١٨) لغتنا والانتشار العالمي

لا يشك أحدٌ قرأ التاريخ العالمي في العهود الإسلامية الأولى مع توسع رقعة العالم الإسلامي أيام الخلافة الراشدية وأيّام الدولة الأموية والدولة العباسية في أن اللغة العربية كانت صاحبة المركز الأول في الانتشار بين شعوب العالم، وأما اللغة اللاتينية فإنها كانت لغة العلم بين شعوب أوربة، وأهل العلم عندهم كان عددهم قليلا، وسائر شعوب أوربة كان لكل منها لغته القومية الخاصة، وكذلك كان الشأن في بلاد الإمبراطورية الفارسية يشبه ذلك، وفي بلاد الهند كذلك.

وحقيقة الأمر أن العربية كانت لغة البلدان العربية في قلب جزيرة العرب وأطرافها، ولم تنل حظها العظيم من الانتشار

إلا بعـد الإسـلام، وكان الفضل في ذلك للقرآن الكريم والسـنة النبوية.

ويظهر تفصيل ذلك فيما جَدَّ من الأسـاس التعليمي في بلاد الإسـلام حيـث كان الطفل يتعلـم القراءة ثـم الكتابة عن طريق تعلم القرآن الكريم، فينشأ الطفل وهو يحسن النطق العربي مجوَّداً بقواعـد النطـق اللغوية التي سـميت فيـما بعد (علـم التجويد)، يتلقـاه الطالـب في الكُتَّـاب ويتلقى معـه في الكُتَّـاب أيضاً معاني كلمات القرآن، ثم يترقى في العلم بعد الكتاب، وبعد الانتهاء من معرفة أساسيات اللغة العربية، ثم يترقى في دراسة القرآن الكريم والسـنة النبوية وسائر العلوم الإسلامية، وإذا باللغة العربية التي كانـت غريبة عليه منذ عهد قريـب تصبح هي لغة العلم والثقافة بكل جوانبها.

والمثقفـون لهـم أثـر على بقيـة طبقـات الأمـة ولا ريب، ولم يبـق مسـلم في بلد مـن البلدان - مهـما قل حظه مـن العلم - إلا وهـو يعرف جانبا من اللغة العربية مثـل كلمات الأذان والصلاة

والحـج والأدعية والأذكار، ومع انتشـار الإسـلام وتزايد أعداد الداخلـين فيه تزايد عدد المتعلمين والملمين باللغة العربية. بل إن غـير المسـلمين تعلموا العربية حـين أرادوا أن يكون لهم حظ من الثقافـة وحـظ من المكانة بين المثقفين حتـى أصبحت العربية لغة العلم والثقافة دون منازع.

وقـد تـم ذلك كله دون قهر أو إكراه حيـث إنّ اللغة العربية انتشرت عن طريق الدين الإسـلامي وهو دين ينفي الإكراه نفيا حاسـما بصريح القرآن الكريم حيث يقـول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1]، وإذا كان الدِّين مع أهميته العظمى في حيـاة الأمة لا يقبل أن يُكره النّاس على دخوله فمن الأولى ألا يصح إكراه أحد من غير العرب على تعلم العربية.

وهذا بخلاف ما عليه الأمم العدوانية المستعمرة التي كانت تفـرض لغتها على المسـتعمرات بالإكراه القـاسي المتعمد، حيث كانـت الدوائـر الحكوميـة لا تقبـل أي طلـب خطّـي إلا بلغتها،

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦ .

ولا مرافعة قضائية إلا بلغتها، وتفتح المدارس التي تعلم بلغتها دون لغة البلد المستعمَر، وتغري الناس بهذه المدارس عن طريق التوظيف ؛ فلا يدخل في الوظائف الحكومية إلا من يعرف لغة المستعمرين.

بل إنَّ المستعمرين الذين نهبوا خيرات البلاد المستعمرة قد خرجوا منها وراحوا يقدمون لها المساعدات بعدما أفقروها بشرط أن تستمر في تعليم أبنائها بلغة المستعمرين، أي أنهم يقطعون من لحمها ويطعمونها بشرط أن تلبي رغباتهم وتقبل بإنفاذ مخططاتهم، وبهذا انتشرت لغات المستعمرين وأصبحت لغاتهم تعد من اللغات العالمية.

وأضافوا إلى ذلك التشجيع على الكلام باللهجات المحلية لكل قطر من أقطار البلاد العربية حين كانوا يستعمرونها، وبعدما خرجوا منها بتدريس هذه اللهجات المحلية في جامعاتهم وجامعات البلاد العربية التي ربَّوا بعض القائمين عليها في أحضان دراسة اللهجات المحلية، ولقنوهم أن العربية الفصحى

لغة ماتت لأنه لم يبق لها ألسنة تنطق بها مع أنّ هذا باطل، فاللغة العربية الفصحى لا تزال هي الوسيط الذي يلجأ إليه العرب في أحاديثهم وفي إذاعاتهم وكل وسائل إعلامهم إذا خاف أحدهم ألا يفهم السامع ما يقول.

ولهذه الخطط الاستعمارية هدفان مهمان غاية الأهمية: مهمان عندهم، لأن ثقافتهم تنتصر بتركنا للغتنا الثقافية ، وبتركنا لغتنا نترك فهم القرآن الكريم الذي يعلمون أنه هو الأساس الذي كنا به أمة ذات مبادئ مميزة وذات حضارة مميزة وذات قوة مميزة، فإذا تركنا فهم هذا الأساس - بترك لغته العربية الفصحى - ضاعت كل تلك المقومات وضاعت معها وحدتنا، وحينئذ يسهل عليهم أن يضربونا متى شاؤوا وكيف شاؤوا وأن يذلونا كل الإذلال ويسيطروا علينا تمام السيطرة: إنها معركة هينة البداية، سيئة النهاية.

وقد وصلنا اليوم إلى حالة في آداب اللغة العربية رهيبة حيث صارت مضمونات الأدب العربي والنقد الأدبي العربي

مضمونـات غريبـة المعنـى، غريبة الأسـاليب، غريبـة الأصول، وقد أصبحت عدة من جامعاتنا تسير في هذا النهج برضا وطاعة تامـة لأن القائمين عليها تربـوا على هذا النهج فلا غرابة أن يُرَبُّوا طلابهم عليه.

ويضـاف إلى ذلـك أن تـرك المبـادئ القرآنية مع النشـوء في أحضـان الحضارات الأخـرى المادية دفع بعض أبنـاء العرب أن يقـول: لماذا أتعلم العربية فأكـون عاملاً في مجالات قليلة الأجور بينـما تعلُّـم اللغـات الأجنبيـة يتيـح لي فرصـاً أكثر وأجـراً أكبر ومكانـة أعلى؟ كأنه لا يهمـه أن يعرف ثقافة أمته ! فهل يمكن أن تصبـح اللغة العربية لغـة عالمية وأمتها على هذا الحـال؟ علماً بأنا لا ندعوه إلى الاقتصار على اللغة العربية وهجر غيرها.

لقد أصبح الواقع أخطر من السـعي إلى إعادة المركز العالمي للغـة العربية ، الواقع هو أن العربيـة مهددة بالموت والزوال، كما أن أمتنـا كلهـا مهددة بالمـوت والزوال إذا لم تراجع حسـاباتها في كل شـؤونها ! ولغتهـا من أهم هذه الشـؤون فاللغـة العربية هي

مفتاح فهم القرآن الكريم والسنة النبوية وكل علوم الشريعة الإسلامية، فإذا ماتت اللغة ماتت هذه العلوم، وموتها هو موت مبادئ الأمة أي هو موت الأمة أو تميعها وسيلانها تحت أقدام المستعمرين: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١) سورة ق: الآية ٣٧.

الفهرس

الموضـــــوع	ص
افتتاحيـــة	٥
المقدمـــة	٧
١-لغةالقرآن	١١
٢- الترابـط بين القـرآن والعربيـة	٢١
٣- المسلمون واللغة العربية	٢٥
٤- ما حاجتنـا إلى حماية اللغة العربية ؟	٣١
٥- اللغـة العربيـة والتجديـد	٣٩
٦- لغتنـا: الغريبـة القريبـة	٤٧
٧- بالأسلوب المبسـط نخدم لغتنا	٥٥
٨- بهذا يحـب النـاس العربيـة	٦١
٩- اللغـة العربية .. هل هي صعبة ؟	٧١
١٠- وهـم تعقيـد اللغـة العربيـة	٧٩
١١- كيف نحل مشكلة تعلم النحو العربي ؟	٨٧

١٢ – الكشف عن سهولة المقدار الأساس للنحو العربي...	٩٣
١٣ – أهمية المنهج في تعلم العربية	١٠١
١٤ – تفصيلات صيغ الفعل في الجملة بين العربية وغيرها من اللغات	١٠٧
١٥ – هل نجدد المعجم العربي ؟	١١٥
١٦ – فصاحة النطق بالعربية	١٢١
١٧ – أهمية اللغة العربية في مؤهلات الإدارات العلمية ..	١٢٧
١٨ – لغتنا والانتشار العالمي	١٣٣
الفهرس	١٤١